جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر ربيع الآخر (١٤٣٦هـ)

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد
الشيخ/ أحمد بن سليمان

إعداد
أحمد عبد السلام
هاني الشيخ
سيد عبد العال
عبد الرحمن الفواخري
صالح حسون

obeikandl.com

الفكر المتطرف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد

فهذه رسالة عاجلة أظهرت فيها معنى الفكر والتطرف، وما الفرق بينه وبين المنهج

معنى الفكر: هو جملة النشاط الذهني، أو هو أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق. هكذا مطلقا فالفكر مفتوح بغير زمام يذمه، وعليه فالمحسن والمقبح هو العقل إذ هو ما يكون به التفكير، ومن المسلمات أن العقول تتفاوت في تحسينها وتقبيحها، وهنا الخلل، ولذا نرى تقبيح الشرع، لمن اتخذ إلهه – فكره – عقله- فقال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان: ٤٣)

والمعنى: أنه أطاع هواه كطاعة الله، لا يهوى شيئًا إلا اتبعه، أفأنت تكون عليه وكيلاً: حفيظًا وكفيلاً ترده عن ذلك، لست تقدر على ذلك، إنما عليك البلاغ.

وهذا يغاير تمامًا المنهج، فهو ذمام الفكر المنطلق ومقيده.

* المنهج والمنهاج من النهج: و هو الطريق المستقيم الواضح، وهو واحد، يُقال: انتهج الطريق أي استبانه وسلكه، ويُقال: استنهج سبيل فلان، أي: سلكه.

وبهذا يظهر الفرق بين اللفظين ودلالتهما، من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد.

* التطرف: تطرف، أتى الطرف، يُقال: تطرف في كذا، جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط.(١)

فإذا قلنا: (الفكر المتطرف) من المنظور الشرعي، فهو يعني: كل مذموم مخالف للشرع المنقول بطريق المعصوم المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، القائم على عقيدة صحت، وتعبد وَرَد، وتعامل شُرع.

وبهذا نفهم المراد من قوله تعالى: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧)

والشرط مقابل المشروط وجودًا وعدمًا، ونفيًا وإثباتًا.

فالمنهج كاشف لألغام الأفكار في كل زمان ومكان.

* ومن علامات ودلالات المنهج الذي هو الطريق المستقيم الواضح الواحد:

١. قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

(١) انظر: المعجم الوجيز ص ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٧٨، ٦٣٦

Orgelikanon.com

ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام(١٥٣)

ومناسبتها في حديث عبد الله بن مسعودرضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهﷺ خَطًّا فَقَالَ: "**هذا سَبِيلُ الله**". ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "**وَهذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كلِّ سبيلٍ مِنْها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**". ثُمَّ تَلا{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [١] فيه الآتي:

١. أن المنهج طريق واحد مستقيم لا إعوجاج فيه البتة، وإنما حد الله سبيله لأن طريقه واحد، ولهذا جمع السبل: لتفرقها و تشعبها، كقوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. (البقرة: ٢٥٧) فجمع الظلمات؛ لأن طرائقها قددًا، وأفرد النور؛ لأن طريقه واحد.

٢. الأمر باتباع المنهج ولزوم طريق التقوى: طريق الفلاح والعزة والسعادة والوقاية من الفكر المتطرف.

٣. النهي عن سلوك السبل المتفرقة التي على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، فهذه الأفكار ضالة ومضلة، تُلَبس باسم المنهج وتتلون فيه، وبرهان ذلك في قوله ﷺ: (يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ)[٢]

*قوله (يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ): من علامات نبوته ﷺ.

*قوله(دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ): من جنس تلك السبل التي خطها يمينا وشمالا، فهذا فكر مخالف للمنهج، وعلامته: أنهم كذابون دجالون حيث يحدثون ببدع من القول ليست في المنهج، ليست في الطريق المستقيم، والمطلوب: التحذير منه لأنه ضال فتان، حيث تكلم بصورة المنهج وليست منه.

*قوله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(هود: ١١٢)

قوله: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) هذا منهج، حيث أمر سبحانه وتعالى رسولهﷺ،

(١) صحيح بطرقه. أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والترمذي (٢٤٥٤)

(٢) حسن من حديث أبي هريرة، عند مسلم في مقدمة صحيحه (٧)، وأحمد وابن حبان وغيرهم.

وعباده المؤمنين معه بالثبات والمداومة على المنهج، وهو المستقيم الواضح الواحد، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء الذين يتربصون الدوائر بالبلاد والعباد.

قوله: (وَلَا تَطْغَوْا): الطغيان هو مجاوزة الحد في الشئ، وهو البغي، خروج عن المتبع، فهذا فكر متطرف، إنه سبحانه خبير بأعمال وأقوال عباده لا يغفل عن شئ ولا يخفى عليه شئ ويحذركم الله نفسه.

*قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الجاثية(١٨) جعل الله محمدًا ﷺ: على شريعة من الأمر، فهذا منهج له أتباع.

قوله: (فَاتَّبِعْهَا): من غير لم، ولا كيف؟

قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ): حال اصطدامها مع الفكر، فهذا فكر متطرف.

*قوله ﷺ لسُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ. [1]

فهذا منهج، إذ الاستقامة تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

والنبي ﷺ: كان على الوحي الذي هو القرآن والسنة.

*قال تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). النساء (١١٣) وقال: (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [الأنعام: ٥٠]

فهذا منهج، والصحابة كانوا على ما كان عليه النبي ﷺ، وهذا ظاهر في الأدلة المذكورة، وفي الباب غيرها كثير. وعليه فالمخالف للمنهج في القول أو الفعل: تطرف.

*والمسلم: هو المستسلم المتبع المنقاد للمنقول. وهو المنهج. من غير لم ولا وكيف؟ فلا يحكم المعقول في المنقول، فإن كان فهو فكر متطرف. قال تعالى(قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)الأنعام (٥٦) فهذا نهي عنه وحذر منه.

أسباب الفكر المتطرف: حصرتها في خمسة أسباب:

الأول: الجهل بثوابت الشريعة وواجباتها، وهذه الثوابت والواجبات قائمة على الاعتقاد الراسخ في الآتي:

١-توحيد الله بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته

٢-ختم الرسالات بمحمد ﷺ حيث أرسل بالوحي القرآن والسنة

٣-الصحابة رضي الله عنهم أفضل الأمة وسادتها بعد النبي ﷺ كلهم عدول مرضيون عند الله

[1] رواه مسلم(٦٨)

ورسوله على تفاضل بينهم باتفاق المسلمين فالطاعن فيهم أو في آحادهم طاعن في الرسولﷺ

٤- الامتثال لله ولرسوله مهما خالف المعقول، وتقديم ما جاء عن الله ورسوله على قول أي أحد. فالعبث في كل هذا أو محاولته فكر متطرف

الثاني: التبعية العمياء، ولها طريقان

١-في قول النبي ﷺ: "**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ[وباعًا بباع]، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا [سلكوا]جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ[سلكتموه]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟** "(١)

٢-إتباع أتباع الذين سلكوا جحر الضب على لحنهم وتلونهم في المنهج الواضح المستقيم، وهم شياطين إنس استحوذ عليهم الشيطان الجني فسول لهم وأملى لهم فخالفوا المنقول فظنوا أنهم يحسنون صنعا، وهم يسيئون صنعا. وهذا فكر متطرف

الثالث: تدهور مستوى الأسرة في التربية والمتابعة:

وعمدة هذا السبب في حديث عبد الله بْنِ عُمَرَرضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)).(٢)

والشاهد في قوله ((وَالرَّجُلُ رَاعٍ... ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ....))

والمسئولية في الدين والدنيا، وبرهان ذلك في قوله ﷺ: ١- ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. .)). (٣)

٢- ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ)). (٤) ٣ - ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ)). (٥)

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري، وابن ماجه (٣٩٩٤) وغيره وحديثهم حسن من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له

(٣) رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة

(٤) رواه أبو داود (٤٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٠٢٢) من حديث عبد الله بن عمرو .

(٥) رواه النسائي(٩١٣١) من حديث عَبْد اللهِ بْن عَمْرٍو .

فمناط الإصلاح والإفساد، والخير والشر في الوالدين.

والمقصود من التربية والمتابعة فيها أن تكون على خلق رسول اللهﷺ، وأصحابهرضي الله عنهم.

فإذا أحسن في دينه أحسن في دنياه، وإذا أساء في دينه أساء في دنياه، فالتلازم بينهما قائمٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ (وَأَنْفُسِهِمْ) وَأَمْوَالِهِمْ)). (١)

فإذا اختل هذا فهو فكرٌ متطرف، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ)). (٢)

والمطلب في قوله ((خيركم)) فإذا اختل فهو الفكر المتطرف.

الرابع: تدهور مستوى الأخلاق في الشوارع والمؤسسات.

وهو فرع عن الذي قبله من وجه، ومن وجه آخر في قوله ﷺ، ((والْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) في الدين والدنيا معاً.

والأخلاق: وصفٌ يتعلق بالأقوال والأفعال التي توصف بالحسن أو القبح، ومردُّ ذلك إلى الشرع فإذا خلا فهو فكرٌ متطرف.

ومن صور ذلك: ١ – الشباب التائهون بغير هوية.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا،... وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ..**))(٣)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍرضي الله عنهما قَالَ: " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ". (٤) وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ)). (٥)

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ))(٦)

---

(١) صحيح لغيره. رواه الترمذي(٢٦٢٧)من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه(٣٩٣٤) من حديث فضالة بن عبيد

(٢) حديث صحيح. رواه الترمذي (٢٢٦٣) وغيره من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨)

(٤) رواه البخاري (٥٨٨٥)

(٥) رواه الترمذي (١١٧٣) صحيح الجامع (٢/ ١١٣٤)

(٦) رواه أحمد (٤/ ٤١٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٢٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

عريٌ وفجورٌ في السلوك والكلام، عصيانٌ وتمردٌ على شرع الرحمن، وقالوا: مدَنيةٌ وحضارةٌ، فهذا فكرٌ متطرفٌ.

٢- الغش في الامتحانات على مستوى التعليم كله، وفي البيوع والمعاملات.... إلخ.

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ)). [١]

قالوا: عمَّتْ به البلوى؟ فهو حلالٌ لا بأس به!. فكرٌ متطرفٌ.

٣- الرشوة، ظاهرة واضحة جليَّةٌ، غيَّرت القول والفعل، ووسَّدت الأمر لغير أهله، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)). [٢]

قالوا: عمت بها البلوى، فهي حلالٌ لا بأس بها!. فكرٌ متطرفٌ.

٤- الكذب والخيانة والفجور عند الخصومة، والغيبة والنميمة، وغير ذلك مما حذّر منه الشرع الحنيف، الخوض فيه واشتياهه. فكرٌ متطرفٌ.

الخامس: تجنيد المسلم نفسه لشبكات الإجرام والإرهاب في العالم.

نلمس في الحديث السابق ذكره..... قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: ((فَمَنْ)) أي فَمَنْ غير أولئك القوم، وهذا لا يخفى على كل ذي عقل وبصر، فحياتهم دنياهم، وعقولهم آلهتهم، وعداؤهم للإسلام والمسلمين مجزومٌ به.

وتجنيده من وجوه: ١- إعطاؤه جنسية البلد المقيم به. **٢**- إظهار الحب والولاء له.

٣- إثراؤه اجتماعياً من حيث المال والمسكن والمركب. **٤**- غسله فكرياً على إثر جهله بدينه أو تنطعه وغلوه.

فإذا سألت لماذا كل هذا؟ أجيب لأجل التخريب، للمزايدة، مَنْ يريد تخريب المسلمين دياراً وسكاناً وعقولاً، فأهلاً ومرحباً. تخريب بالكلام، تخريب بالقلم والكتابة، تخريب بالفعل، خطيرة صناعة الفكر المتطرف.

قال الله: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ**

---

[١] حسن. رواه ابن حبان (**٥٥٥٩**) والطبراني وغيرهما.

[٢] رواه ابن ماجه (**٢٣١٣**).

حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦]، وقال: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]

إنه فكر متطرف يريد النيل من الإسلام وأهله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ساعدهم على ذلك متطوعون باسم الإسلام

ثم بعد تجنيده واحترافه يتم إرساله إلى بلده أستاذًا جامعيًّا أو مسئولًا مرموقًا في مؤسسة لها أثرها ثقافيًا وإعلاميا وتعليميا، انظر حولك متأملا متدبرًا لتستعد بما أخبر به الله ورسوله ولترفع رأسك ببراءة الإسلام من صناعة الإرهاب

وقد يُجند المسلم في وطنه بمثل ما سبق ونحوه حيث تنمى فيه تمرده على دينه ووطنه؛ لأنه إذا تخلى المسلم عن تعاليم دينه، وحكم عقله في أوامره ونواهيه تخلى عن كل شيء بعد وذلك من حيث الآتي:

-إعطاء الشهادة الفخرية. – ذكره والإطراء عليه في محافلهم ومحافل بلده -السماح له بالكتابات والكلمات في إعلامهم وإعلام بلده -توسعة دائرة شهرته في بلده، ولكل شيء ثمن

وقد يختل الفكر بعيدا عن كل هذا بسبب جهله وكبره وغروره وشهرته بين العوام والهوام فيتكلم في دين الله بما ليس فيه حقيقة، وانتحل شذوذ أقوال البشر ففسق بها عن وحي رب البشر، وهذه مزبلة فكرية لها أثرها السيء في العباد والبلاد.

علاج الفكر المتطرف

يكمن في إفاقة المسلم من غفلته، ولينزع عباءة جهله في دينه، وليعلم أنه مسئول عن نفسه ومن يعول لقوله ﷺ: "**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** ...."

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } [الرعد: ١١] وقال: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } [نوح: ١٠ – ١٣]

نسأل الله العفو والعافية والهداية والتوفيق

كتبه

صبري عبد المجيد

١ـ دروس وعبر من حديث الرجل الذي قتل مائة نفر

عناصر الخطبة

نص الحديث مقدمة شرح الحديث وبعض فوائده التفصيل

نص الحديث:

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، وفي رواية ابن ماجة (ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ) فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، وفي رواية ابن ماجة (قَالَ: بَعْدَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَفْسًا قَالَ: فَانْتَضَى سَيْفَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَكْمَلَ بِهِ الْمِائَةَ، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ)، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ وفي رواية(فَقَالَ: وَيْحَكَ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟) انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، وفي رواية(اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا، فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا)، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، وفي رواية(فَخَرَجَ يُرِيدُ الْقَرْيَةَ الصَّالِحَةَ، فَعَرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ) فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، وفي رواية ابن ماجه(قَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا أَوْلَى بِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي سَاعَةً قَطُّ) فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ " وفي رواية ابن ماجة من طريق حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: (فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا، فَاخْتَصَمُوا إِلَيْهِ ثُمَّ رَجَعُوا، فَقَالَ: انْظُرُوا، أَيَّ الْقَرْيَتَيْنِ كَانَتْ أَقْرَبَ، فَأَلْحِقُوهُ بِأَهْلِهَا، قَالَ قَتَادَةُ: فَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ احْتَفَزَ بِنَفْسِهِ فَقَرُبَ مِنَ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ، وَبَاعَدَ مِنْهُ الْقَرْيَةَ الْخَبِيثَةَ، فَأَلْحَقُوهُ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ). ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ

نَأَى بِصَدْرِهِ. (١)

وفي رواية لمسلم: (فكان إِلَى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل مِنْ أهلها).

وفي رواية للبخاري: (فأوحى اللَّه تعالى إِلَى هذه أن تقربي وأوحى إِلَى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوُجد إِلَى هذه أقرب بشبر فغُفر له) وفي رواية لمسلم (فنأى بصدره نحوها). (٢)

مقدمة:

فهذه القصة الرائعة التي ذكرها النبي ﷺ تبين لنا رحمة الله بعباده وأن الله عز وجل أرحم بعباده من الأم بولدها من أقبل عليه هداه ومن توكل عليه كفاه ومن استعان به وفقه لما يحبه ويرضاه، يقول النبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه لما جاء مسلماً مبايعاً وقد مد يده ليبايع النبيﷺ فمد النبي ﷺ يده فقبض عمروٌ يده فقال له النبي ﷺ مالك يا عمرو قال أريد أن اشترط فقال تشترط ماذا قال اشترط أن يُغفر لي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ" يقول ابْنُ الْعَرَبِيِّ رحمه الله: هَذِهِ لَطِيفَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى مَنَّ بِهَا عَلَى الْخَلْقِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَقْتَحِمُونَ الْكُفْرَ وَالْجَرَائِمَ، وَيَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ وَالْمَآثِمَ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يُوجِبُ مُؤَاخَذَةً لَهُمْ لَمَا اسْتَدْرَكُوا أَبَدًا تَوْبَةً وَلَا نَالَتْهُمْ مَغْفِرَةٌ. فَيَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَبُولَ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْإِنَابَةِ، وَبَذْلَ الْمَغْفِرَةِ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَمَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْرَبَ لِدُخُولِهِمْ فِي الدِّينِ، وَأَدْعَى إِلَى قَبُولِهِمْ لِكَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُؤَاخَذُونَ لَمَا تَابُوا وَلَا أَسْلَمُوا. (٣)

---

(١) قوله: "فبعث الله عز وجل له ملكاً فاختصموا إليه"، مرسل من رواية أبي رافع وهو نفيع الصائغ، وقد جاء مرفوعاً عند مسلم من طريق هشام، عن قتادة، به، بلفظ: "فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم".

قوله: لما عرف الموت احتفز بنفسه من مراسيل الحسن البصري، وقد جاء مرفوعاً عند البخاري ومسلم من طريق شعبة، عن قتادة، به، ولفظه عند البخاري: "فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب، فغفر له".

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧٤) رقم ٣٤٧٠، صحيح مسلم (٤/ ٢١١٨) رقم ٤٦ (٢٧٦٦).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٩٨).

فإن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى الرحمن على العرش استوى سمى نفسه التواب لأجل ذلك فتح باب التوبة ليتوب مسيء الليل ويتوب مسيء النهار وسمى نفسه الغفور والغفار لأنه يغفر ذنوب الليل والنهار ولم يقنط أحداً من رحمته فسمى نفسه الرحيم الرحمن فكم من مذنب غفر له وكم من عاصٍ أخذ بيده إلى طريق الهداية والتوبة وكم من داعٍ رفع أكف الضراعة مبتهلاً فرد عليه رب العالمين فقال **"يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً.** (١)

فيا من أسرفت على نفسك في الذنوب والخطايا ألم تسمع إلى قوله تعالى **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** [الزمر: ٥٣].

يا من تريد المغفرة ألم تسمع إلى قوله تعالى{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[طه: ٨٢]. يا من تريد الرحمة ألم تسمع إلى قوله تعالى {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ١٥٦].

فهيا بادر بالتوبة والأوبة إلى الله فما من أحد أفرح بتوبة عبده من الله **فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ".** (٢)

شرح الحديث وبعض فوائده:

مسألة في الاسرائيليات:

قوله ﷺ " كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " وهذه القصة من الإسرائيليات والإسرائيليات ليس كما

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠) رقم ٣٥٤٠، وغيره من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) البخاري (١/ ٩١-٩٢) رقم ٦٣٠٨، صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٤) رقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

يعتقد كثير من الناس كلها ضعيفة لكنها على ثلاثة أقسام:

١- ما صح سنده إلى النبي ﷺ وهو ما يحكيه لنا من هذه القصص مثل قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الغار، وقصة الأبرص والأقرع والأعمى وغيرها من القصص فهذا كله صحيح لأن النبي ﷺ هو الذي أخبر به.

٢- ما صح سنده إلى قائله سواءٌ كان من الصحابة أو من التابعين أو ممن بعدهم فهذا القسم قد يدخله الصدق والكذب وهذا الذي قال النبي ﷺ في مثله " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ". فهذا يجوز ذكره على سبيل الاعتبار والعظة، وممن اشتهر بالنقل عن أهل الكتاب من الصحابة عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم وغيرهم، ومن التابعين كعب الأحبار ووهبه بن منبه رحمهما الله ، وغيرهم ممن كان يأخذ من كتب أهل الكتاب.

٣- قسم لا يصح سنده إلى قائله فهذا لا يذكر ولا يجوز الاحتجاج به وأغلب هذا القسم قصص باطلة وأخبار موضوعة ومكذوبة. [١]

قوله " ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ".

أي شرح الله عز وجل قلبه للتوبة وهيأ له أسبابها وهذا من نعم الله تبارك وتعالى على عبده العاصي أنه لا يؤاخذه بالذنب مباشرة ولا يعجل له العقوبة بل يمهله حتى يرجع وهذا قتل تسعة وتسعين نفساً فيا تُرى كم صبر رب العالمين عليه وأخره كل هذه المدة حتى أراد به خيراً إنها سعة رحمة الله تبارك وتعالى.

يستفاد من هذا:

١- فِيهِ أَنَّ التَّوْبَةَ تَنْفَعُ مِنَ الْقَتْلِ كَمَا تَنْفَعُ مِنْ سَائِرِ الذُّنُوبِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ شَرْعًا لِمَنْ قَبْلَنَا وَفِي الِاحْتِجَاجِ بِهِ خِلَافٌ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوْضِعِ الْخِلَافِ لِأَنَّ مَوْضِعَ الْخِلَافِ إِذَا لَمْ يَرِدْ فِي شَرْعِنَا تَقْرِيرُهُ وَمُوَافَقَتُهُ أَمَّا إِذَا وَرَدَ فَهُوَ شَرْعٌ لَنَا بِلَا خِلَافٍ وَمِنَ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وَحَدِيثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَفِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ "وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْهِيَّاتِ فَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ

[١] انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شهبة، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان.

شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ".

٢- فيه دليل على أن اللَّهَ إِذَا رَضِيَ عَنْ عَبْدِهِ وقبل توبته أَرْضَى عَنْهُ خُصُومَهُ، وَرَدَّ عنه مَظَالِمَهُ.

٣- فيه دَلالَة عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِطَالِبِ التَّوْبَةِ، فَضْلاً عَنِ التَّائِبِ، وهذا تَرْغِيبٌ فِي التَّوْبَةِ، وَمَنْعُ النَّاسِ عَنِ الْيَأْسِ.

قوله" فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ".

فلما أراد التوبة بحث عن رجل معروف بالعلم ليسأله عن هذه المصيبة التي وقع فيها وهذا هو الواجب على كل واحدٍ منا إذا وقع في مشكلة أو عرضت له مسألة لا يعلم حكم الله فيها أن يبحث عن عالم ليدله على الصواب كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧]. فأهل العلم هم الدالون على الله بعد الأنبياء والرسل، فذهب إلى راهب من الرهبان وهذا فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ رَفْعِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لِأَنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ إِنَّمَا ابْتَدَعَهَا أَتْبَاعُهُ بعدما رُفع إلى الله كما نُصَّ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ في قوله تعالى {**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** } [الحديد: ٢٧].

يستفاد من هذا:

٤- وجوب سؤال أهل العلم عما يعرض للإنسان من مسائل ومشكلات لقوله تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**} [النحل: ٤٣].

قوله" فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، وفي رواية (قَالَ: بَعْدَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَفْسًا قَالَ: فَانْتَضَى سَيْفَهُ فَقَتَلَهُ، فَأَكْمَلَ بِهِ الْمِائَةَ".

فجاء هذا القاتل إلى هذا الراهب وقال له إنه قتل تسعة وتسعين نفساً هكذا بصيغة الغائب وهو من الجائز في اللغة، فهل تصح مني التوبة وهل يقبلها الله عز وجل مني فكان الجواب من الراهب الجاهل لا، وما أدراك أيها الراهب أن الله منع عنه التوبة وأغلق بابها في وجه لذلك كان جزاؤه أليم وعاقبته وخيمة فقتله وأكمل به المائة وهذا مصير كل جاهل لا يعلم شيئاً عن ربه فكم من أناس نفروا الناس من الدين ويئسوا الناس من التوبة والرجوع إلى الله بسبب جهلهم، فعَنْ جُنْدَبٍ بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَ " أَنَّ رَجُلاً قَالَ:

وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ ". (١)

وعن أبي هريرة ﷺ: قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الأخرَ على الذنب، فيقول: أقصِرْ، فوَجَدَه يوماً على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي، أبُعِثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجنةَ- فقَبَضَ أرواحَهُما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكُنتَ بي عالماً؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِراً؟ وقال للمُذنِب: اذهَبْ فادخُلِ الجنةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسِي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبَقَت دُنياه وآخِرَتَه. (٢)

فهذه هي رحمة الله لا يستطيع أحد أن يحجبها عن أحدٍ فإياك ثم إياك أن تقنط أحداً من التوبة.

يستفاد من هذا:

٥- فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قِلَّةِ فِطْنَةِ الرَّاهِبِ وقلة علمه حيث لم يصب وجه الفتيا ولا سلك طريق التحرّز في نفسه ممن صار له القتل عادة معتادة، فقد صار هذا مثل الأسد الذي لا يبالي بمن يفترسه، فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن نفسه كما يدارى الأسد الضاري لكنه أعان على نفسه، فإنه لما آيسه من التوبة قتله بحكم سبعيته ويأسه من رحمة الله وتوبته عليه. قاله القرطبي.

٦- فِيهِ أَنَّ الْمُفْتِيَ قَدْ يُجِيبُ بالخطأ وَغَفَلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَ الْأَخِيرَ عَلَى سَبِيلِ التَّأَوُّلِ لِكَوْنِهِ أَفْتَاهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِأَنَّ السِّيَاقَ يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ عَالِمٍ بِالْحُكْمِ حَتَّى اسْتَمَرَّ يَسْتَفْتِي وَأَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُ اسْتَبْعَدَ أَنْ تَصِحَّ تَوْبَتَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ لمن ذَكَرَ أَنَّهُ قَتَلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ بِنَاءً عَلَى الْعَمَلِ بِفَتْوَاهُ لِأَنَّ ذَلِكَ اقْتَضَى عِنْدَهُ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُ فَيَئِسَ مِنَ الرَّحْمَةِ ثُمَّ تَدَارَكَهُ اللَّهُ فَنَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَرَجَعَ يَسْأَلُ.

قوله "ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ".

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٣) رقم ١٣٧ (٢٦٢١).

(٢) إسناده حسن أخرجه أحمد (٨٢٩٢)،(٨٧٤٩)، وأبو داود (٤٩٠١)، وانظر صحيح الجامع (٢/ ٨٢١)

ثم أراد الله به خيراً فهيأ له أسباب التوبة مرة أخرى وشرح صدره لها فسأل عن أعلم أهل الأرض لكن الأمر اختلف هذه المرة فدُل على عالم.

يستفاد من هذا:

٧- فيه عدم اليأس من رحمة الله تعالى وأن باب التوبة مفتوح للعبد ما لم تخرج الروح من الجسد وما لم تطلع الشمس من مغربها.

قوله" فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ وفي رواية فَقَالَ: وَيْحَكَ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ".

فأعاد عليه نفس السؤال الذي سأله للراهب إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فكانت الإجابة مختلفة هذه المرة **نعم** وهذه هي إجابة العالم الذي عرف عن الله وعرف عن رسل الله وعرف كيف يدل الناس على الصراط المستقيم وهذا هو الفرق بين الراهب الجاهل وبين هذا العالم قال له ومن يحول بينك وبين التوبة من يمنعك من التوبة لا أحد يستطيع.

يستفاد من هذا:

٨- فِيهِ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ لِأَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُ أَوَّلًا بِأَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ فَاسْتَعْظَمَ وُقُوعَ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ الْقَاتِلِ مِنَ جرأته عَلَى قَتْلِ هَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَأَمَّا الثَّانِي فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْعِلْمُ فَأَفْتَاهُ بِالصَّوَابِ وَدَلَّهُ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ.

٩- فيه دليل على وجوب العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل.

قوله" انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، وفي رواية(اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا، فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا".

وكان هذا كافياً في الإجابة على سؤال هذا القاتل لكن العالم لأنه عالم أراد أن يدله على وسائل التوبة وعلى ما يعينه على التوبة النصوح فزاد في إجابته شيئاً يستفيد منه هذا الرجل وهذا الذي يقولون عنه جواب الحكيم، وجواب الحكيم هو أن يزيد المفتي شيئاً في الجواب لم

يسأل عنه السائل هذه الزيادة تكون نافعة ومفيدة للسائل ولا يتم المعنى إلا بها.

فهذا العالم قال له اخرج من أرضك أرض السوء هذه الأرض التي عصيت الله فيها ولم يأخذ أحدٌ على يدك ولم يأمرك أحدٌ بالمعروف ولا نهاك أحدٌ عن المنكر فلا شك أنها أرض سوء لا خير فيها واذهب إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناساً صالحين فاعبد الله معهم.

يستفاد من هذا:

١٠- فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّائِبَ يَنْبَغِي لَهُ مُفَارَقَةُ الأرض التي عصى الله فيها والْأَحْوَالِ الَّتِي اعْتَادَهَا فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالتَّحَوُّلُ مِنْهَا كلهَا وَالِاشْتِغَالُ بِغَيْرِهَا، لأن هناك أسباباً تدعو إلى المعاصي، منها ما يكون من الشخص نفسه، من النفس السيئة وغلبة الهوى وغلبة الشهوة، ومنها ما يكون من قرناء السوء، ومنها ما يكون في بيئته، وهذا يدل على أن المعاصي قد تكون بسبب البيئة ولذلك ينبغي عليه أن يصحب أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلاَحِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ الْوَرِعِينَ. [١]

١١- فيه دليل على أنَّ القاضي إذا تعارضت الأقوال عنده، يحكم بالقرائن.

قوله" فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، وفي رواية(فَخَرَجَ يُرِيدُ الْقَرْيَةَ الصَّالِحَةَ، فَعَرَضَ لَهُ أَجَلُهُ فِي الطَّرِيقِ".

فخرج الرجل مقبلاً على ربه تائبا ونادماً وعازماً على عدم العودة إلى المعصية لكنه القدر الذي لا يخرج أحدٌ عنه، فبينما هو في طريقه إلى القرية الصالحة إذ جاء الأجل وحان وقت الرحيل وجاؤه الداعي ليجيب أمر ربه، وصدق فيه قول رب العالمين {**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**} [النساء: ١٠٠].

يستفاد من هذا:

١٢- فِيهِ إشارة إِلَى أَنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ قد تكون خَيْراً مِنْ عَمَلِهِ، فإن هذا الرجل الذي قتل مائة نفس لما صدق في توبته وجاء مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى وأخلص في قصده ولم يرد بتوبته إلا الله والدار الآخرة، صارت هذه النية الصادقة والعزيمة الجازمة سبباً في نجاته ودخل الجنة بسببها أي بسبب نيته الصالحة وصدقه في التوبة، مع أنه لم يعمل خيراً إلا ذلك فقط فصارت هذه النية

[١] شرح زاد المستقنع للشنقيطي (٣٩٧/ ١٣).

كفيلة بأن تكفر عنه ما مضى بفضل الله ومنه وتوفيقه، وهذا يفيد أن نية المرء أبلغ من عمله، وأن العبد يبلغ بنيته مالا يبلغه بعمله. [1]

قوله" فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ، وفي رواية ابن ماجه قَالَ إِبْلِيسُ: أَنَا أَوْلَى بِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَعْصِنِي سَاعَةً قَطُّ".

يستفاد من هذا:

١٣- فِيهِ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِبَنِي آدَمَ يَخْتَلِفُ اجْتِهَادُهُمْ فِي حَقِّهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ يَكْتُبُونَهُ مُطِيعًا أَوْ عَاصِيًا وَأَنَّهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ.

وهنا حدث الاختلاف بين الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيهما تقبض روحه حتى وصل الأمر إلى أن تدخل إبليس اللعين كبير الشياطين ليقول أنه من اتباعي وما خالف أمري قط أغويته حتى قتل كل هؤلاء فأنا أحق به لكن هيهات هيهات.

قوله" فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ".

فتكلمت ملائكة الرحمة وقالت كيف يُعذب وقد جاء تائباً إلى الله راجعاً عن طريق الغواية نادماً على المعصية نحن أحق به، فردت ملائكة العذاب وقالت كلا إنه ما عمل خيراً قط وقتل كل هذه الأنفس المحرمة نحن أحق به.

يستفاد من هذا:

١٤- فيه أن الذنوب وإن عظمت، فعفو الله أعظم منها، وأن من صدق في توبته، تاب الله عليه، ولو لم يعمل خيرًا إذا عزم على فعله.

قوله" فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ " وفي رواية ابن ماجة من طريق حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا، فَاخْتَصَمُوا إِلَيْهِ ثُمَّ رَجَعُوا، فَقَالَ: انْظُرُوا، أَيَّ الْقَرْيَتَيْنِ كَانَتْ أَقْرَبَ، فَأَلْحِقُوهُ بِأَهْلِهَا،

[1] رسالة في تحقيق قواعد النية (ص: ٦٦)

قَالَ قَتَادَةُ: فَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ احْتَفَزَ بِنَفْسِهِ فَقَرُبَ مِنَ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ، وَبَاعَدَ مِنْهُ الْقَرْيَةَ الْخَبِيثَةَ، فَأَلْحَقُوهُ بِأَهْلِ الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ. ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ".

وفي رواية في الصحيح: "فكان إلي القرية الصالحة أقرب بشبر، فجعل من أهلها". وفي رواية في الصحيح: "فأوحي الله تعالي إلي هذه أن تباعدي، وإلي هذه أن تقربي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلي هذه أقرب بشبر فغفر له". وفي رواية: "فنأي بصدره نحوها".

فأراد الله عز وجل أن يفصل بينهم وأن يقطع النزاع فأرسل إليهم ملكاً في صورة آدمي فجعلوه حكماً بينهم فقال لهم قيسوا المسافة بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب فهو من أهلها فقاسوا المسافة بين الأرضين فوجدوه أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر واحد فقبضته ملائكة الرحمة، ولأن رب العالمين أراد به خيراً فقد ورد في بعض الروايات أن الله أوحى إلى الأرض الصالحة أن تقاربي وإلى الأرض الخبيثة أن تباعدي فوجدوه أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر فَغُفِرَ لَهُ فهذه هي رحمة الله بعباده ليس بين الله وبين أحدٍ من خلقه خصومة فهو الرب الرحيم الغفور الحليم بيده ملكوت السماوات والأرض وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول لا ومقلب القلوب، فاعلم أنك إذا تبت إلى الله من أي ذنب فإن الله يتوب عليك مهما عظم الذنب وربما تكون بعد التوبة أحسن حالاً منك قبل التوبة.

يستفاد من هذا:

١٥- أن الملائكة قد تتشكل في صورة البشر وهذا لا يكون إلا بإذن الله.

١٦-فيه تَخْفِيفِ الْآصَارِ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَإِذَا شُرِعَ لَهُمْ قَبُولُ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ فَمَشْرُوعِيَّتُهَا لَنَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، قال ابن كثير رحمه الله بعد إيراد هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً } [النساء: **٩٢**] إذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة مقبول بطريق الأولى والأحرى؛ لأن الله وضع عنا الأغلال التي كانت عليهم.

١٧- واسْتُدِلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ عَمْدًا، هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَإِجْمَاعُهُمْ، وَلَمْ يُخَالِفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَمَّا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ مِنْ خِلَافِ هَذَا فَمُرَادُ قَائِلِهِ الزَّجْرُ وَالتَّوْرِيَةُ، لَا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ بُطْلَانَ تَوْبَتِهِ. قَالَه النَّوَوِيُّ.

١٨- فيه أن القاتل إذا قتل إنساناً عمداً ثم تاب فإن الله تعالي يقبل توبته، ودليل ذلك في كتاب الله قوله تعالي: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨] يعني ما دون الشرك، فإن الله تعالي يغفره إذا شاء، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

١٩- وذُكر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن القاتل ليس له توبة، واستدل بقوله تعالى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]. ولكن ما ذهب إليه الجمهور هو الحق، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنه يمكن أن يحمل على أنه ليس توبة بالنسبة للمقتول، وذلك لأن القاتل إذا قتل تعلق به ثلاثة حقوق:

الحق الأول: لله، والثاني: للمقتول، والثالث: لأولياء المقتول.

* أما حق الله؛ فلا شك أن الله تعالي يغفره بالتوبة، لقوله تعالي: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].ولقوله تعالي: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان: ٦٨ - ٧١] * وأما حق المقتول؛ فإن توبة القاتل لا تنفعه ولا تؤدي إليه حقه، لأنه مات، ولا يمكن الوصول إلي استحلاله، أو التبرؤ من دمه، فهذا هو الذي يبقي مطالباً به القاتل ولو تاب، وإذا كان يوم القيامة فالله يفصل بينهما، وقد يرضي الله تبارك وتعالى المقتول ويجعله يصفح عن القاتل بسبب توبة القاتل إن كانت نصوحاً وعلم الله منه الإخلاص.

* وأما حق أولياء المقتول، فإن التوبة لا تصح، حتى يُسلِّم نفسه إلي أولياء المقتول، ويقر بالقتل، ويقول: أنا القاتل، وأنا بين أيديكم، إن شئتم اقتلوني وإن شئتم خذو الدية، وإن شئتم العفو، فإذا تاب إلي الله، وسلم نفسه لأولياء المقتول فإن توبته تصح، وما بينه وبين المقتول

يكون الحكم فيه إلي الله يوم القيامة. [1]

يقول ابن العربي المالكي وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ إذَا جَاءَ إلَيْهِ رَجُلٌ لَمْ يَقْتُلْ فَسَأَلَهُ: هَلْ لِلْقَاتِلِ تَوْبَةٌ؟ فَيَقُولُ لَهُ: لَا تَوْبَةَ لَهُ؛ تَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا. فَإِذَا جَاءَهُ مَنْ قَتَلَ فَسَأَلَهُ: هَلْ لِقَاتِلٍ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ لَهُ: لَك تَوْبَةٌ؛ تَيْسِيرًا وَتَأْلِيفًا. [2]

٢٠- على المسلم أن يعيش في حياته بين الخوف والرجاء، فهو يخاف ذنوبه ويخشى منها، ولا يأمن مكر الله ولا يجزم لنفسه بدخول الجنة. [3]

والحمد لله رب العالمين

---

[1] شرح رياض الصالحين (١/ ١١٦) لابن عثيمين.

[2] أحكام القرآن لابن العربي العلمية (٢/ ٣٩٨).

(٣) ثبت المصادر: هذا الشرح مختصر من المصادر الآتية بتصرف

فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥١٧)لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المتوفى(٨٥٢ هـ).

عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٥٥) لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ).

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٤٣٠) لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ).

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦١٤) لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ).

حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٥) لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ).

نيل الأوطار (٧/ ٦٦)محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ).

شرح رياض الصالحين (١/ ١١٦) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٨/ ١٣٢)للقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي المتوفى ٥٤٤ هـ

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٤/ ٢٢١)لحمزة محمد قاسم.

أحكام القرآن(٢/ ٣٩٨)للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي(المتوفى: ٥٤٣هـ).

من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي (ص: ١٤٩)لكمال الدين عبد الغني المرسي.

دروس وعبر من صحيح القصص النبوي (ص: ٣٨)لشحاتة محمد صقر.

obeikandl.com

٢ـ فضائل صلاة الفجر

عناصر الخطبة

فضائل صلاة الفجر **آثار وعقوبات ترْك الفجر**

الأسباب المعينة على صلاة الفجر **موقف للسلف من صلاة الفجر**

التفصيل

الحمد لله وبعد؛ فإنَّ صلاة الفجر صلاة مبارَكة، وعظيمة القدر؛ ولهذا أقسم الله عزَّ وجلَّ بوقتها وهي صلاةٌ مشهودة منَ الملأ الأعلى كم مِن أجور عاليات ضَيَّعتَها يوم نِمتَ عن صلاة الفجر! كم من كنوز منَ الحسنات فقدتَها يوم تكاسَلْتَ عن صلاة الفجر؟! كم من تجارة رابحة قد تَسَبَّبَ الكُسالى في كسادها، ويوم القيامة يرجون الرحمة وتمام النور؟! بركات صلاة الفجر، امتَنَّ الله – تعالى – على أهلها بهذه الهدايا، والمنَح الإلهيَّة.

فضائل صلاة الفجر في جماعة

١ـ فضل قرآن الفجر وشهود الملائكة له:

يقول تعالى: { **وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ**}، فلعظمة الفجر أقسم الله فيه ولله أن يقسم بما شاء، وكذلك { **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**}أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة الليل وملائكة والنهار. وقد فصل ذلك قول النبيﷺ : ((**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**))(١) وعن أَبي هُرَيْرَةَرضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **تَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ** "، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: { **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** }(٢).

٢ـ دخول الجنة والنجاة من النار

قَالَ ﷺ: " **لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** " يَعْنِى الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ(٣) ومن لم يصلي الفجر والعصر فلن يحصل على هذه البراءة من النبي ﷺ، بل ربما

---

(١) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢). تفسير السعدي (ص: ٤٦٤)

(٢)البخاري (٦٤٨)، ومسلم (٢٤٦)

(٣)مسلم (٦٣٤)، وأبو داود (٤٢٧)، والنسائي ١/ ٢٣٥.

ولج النار والعياذ بالله. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ** "(١)، والبردان: هما الفجر والعصر. فمن لم يصلي الفجر والعصر لم يكن مع أولئك الرجال الذين تركوا الفراش الوثير، والدفء المرغوب، لن يكون مع أولئك الذين استجابوا لربهم عندما سمعوا منادي الله وهو يصدع بالأذان وهو يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم (٢)

٣ـ أجر قيام الليل

ثم تتوالى البشائر لأصحاب الهمم العالية، والمراتب السامية، فمن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله، يحصل له أجر عظيم، بمثابة من قام الليل كله لا ينام منه شيئاً، عن عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ** "(٣) أي فكأنه قام يصلي الليل كله العشاء نصف الليل والفجر نصف الليل وهذا فضل عظيم يعني كأنك قائم الليل كله وأنت في فراشك إذا صليت الفجر في جماعة والعشاء في جماعة(٤)

٤ـ النور التام يوم القيامة

عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **بَشِّرِ الْمُشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ، بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"(٥)

ومعنى ذلك: أن من لم يمشي لصلاة الفجر، فلا نور له يوم القيامة، وهذا أول نتائج الحرمان للمتخلف عن صلاة الفجر، حُرم النور يوم القيامة. فكما أن للمحافظ على صلاة الفجر له بشائر ومفرحات، فكذلك من لم يكن من أهل صلاة الفجر، فليبشر بالوعيد، والعقاب الشديد.

ومِن بركات صلاة الفجر: أنها تفيض منَ النور على وُجُوه أهلها ما يُمَيِّزهم عن غيرهم،

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٧٤)، ومسلم برقم (٦٣٥).

(٢)أين الخاشعون في الصلاة.

(٣)مسلم (٦٥٦)

(٤)شرح رياض الصالحين (٥/ ٨٢)

(٥)أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٥).

وكيف لا، وهذا هو أعز الأماني عند أحدهم وهو في طريقه إلى مسجده؟! ((**اللهُمَّ اجْعَل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فَوْقي نورًا**)).(١) وعلى هذا؛ فمَن أدمَنَ المسيرَ إلى المساجد، زاد الله له في النور، فيعمُّه الضياء يوم القيامة، قال الله تعالى: {**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**} [الحديد: ١٢]. (٢)

٥ـ رؤية الله عز وجل

فعَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا- يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}** ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ - أحد رواة الحديث - **افْعَلُوا لاَ تَفُوتَنَّكُمْ(٣)** فقد ثبت لهاتين الصلاتين من الفضل على غيرهما ما ذكر من اجتماع الملائكة فيهما، ورفع الأعمال، وغير ذلك، فهما أفضل الصلوات، فناسب أن يجازي المحافظ عليهما بأفضل العطايا، وهو النظر إلى الله تعالى يوم القيامة. (٤)

٦ـ في ذمة الله وحفظه

فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** "(٥) فمن صلى الفجر لا يزال في حفظ الله تعالى، وفي كنفه سبحانه، لا يضره بإذن الله شيء، فهو معزز مكرم، محفوظ بحفظ الله له. فقد أَخذ من الله ذمامًا فَلاَ يَنْبَغِي لأحد أَن يُؤْذِيه بظُلْم، فَمن ظلمه فَإِن الله يُطَالِبهُ بِذِمَّتِهِ. ومن لم يصلي الفجر فهو في ذمة

---

(١)صحيح البخاري (٨/ ٦٩) صحيح مسلم (١/ ٥٢٥)

(٢) تعظيم قدر صلاة الفجر، صلاه الفجر الفريضة الغائبة .

(٣)البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)

(٤)المتواري على أبواب البخاري (ص: ٩٧) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٢٥)

(٥)صحيح مسلم (١/ ٤٥٤)

الشيطان، يضحك عليه، ولا يبالي به في أي واد هلك الله أكبر أرأيتم كم للمحافظ على صلاة الفجر، من خير وفضل، وكم يُضَيِّع المتخلف عنها من عظيم الأجر، نعم، إنه لا يُحرم من هذا الفضل إلا محروم نسأل الله تعالى الثبات على دينه(١)

قال ابن العربي: هذا إشارة إلى أن الحفظ غير مستحيل بقصد المؤذي إليه لكن الباري سيأخذ حقه منه في إخفار ذمته فهو إخبار عن إيقاع الجزاء لا عن وقوع الحفظ من الأذى. (٢)

٧ـطيب النفس وصفائها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ** "(٣). فمما يُشاهد على صاحب الصلاة، لاسيما صلاة الفجر طيب النفس، ونقاء السريرة، والنشاط الواضح، والبشر والتسامح

٨ـ الرِّزق والبَرَكة:

ومن بركات صلاة الفجر: أنها تنزل العبد في مقام الطاعة وقت البكور، الذي هو ذاته وقت البركة في الرِّزق؛ فإنَّ النبي ﷺ دعا لأمته بقوله: ((**اللهُمَّ بارك لأمتي في بكورها**)) (٤) (٥)

٩ـ سنة الفجر خير من الدنيا

إذا أدى المصلي سنة الفجر فهي خير من الدنيا وما فيها، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** " (٦) فالمحافظ على صلاة الفجر في جماعة يحصل له البشر، وعظيم الأجر، والفرح والسرور، والغبطة والحبور، بما يجده من لذة صلاة الفجر،

---

(١)كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٤٩)

(٢)فيض القدير (٦/ ١٦٤)

(٣)البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٤)أبو داود (٢٦٠٦) والترمذي (١٢١٢) وقال: حديث حسن وابن ماجة (٢٢٣٦) والدارمي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٣٠٠).

(٥) صلاة الفجر يحيى بن موسى الزهراني ترك صلاة الفجر سيئة لها أخوات الشيخ عبدالله بن محمد البصري

(٦) مسلم (٧٢٥)، والترمذي (٤١٦)، والنسائي ٣/ ٢٥٢.

وكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. وركعتا الفجر التي تسبق صلاة الفجر وهي مبتدأ صلاة المسلم بالنهار وهي سنة مؤكدة عن النبيﷺ فقد حافظ عليها وما تركها قط ورغب فيها بقوله: ((**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**)). وفي راية لمسلم: ((**لهما أحب إلى من الدنيا جميعًا**)). فإذا كانت الدنيا بأسرها وبما فيها لا تساوي في عين النبيﷺ شيئًا أمام ركعتي الفجر فماذا يكون فضل صلاة الفجر وخاصة مع جماعة المسلمين (١)

١٠ـ الْأَجْر على قدر النصب

فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((**أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ، فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّي، ثُمَّ يَنَامُ**))(٢)

وَجه اخْتِصَاصه بِصَلاَة الْفجْر، أَنه جعل بعدَ الْمَشْي سَببا فِي زِيَادَة الْأَجر، لأجل الْمَشَقَّة. وَالْأَجْر على قدر النصب. وَلَا شكّ أَن المشي إِلَى صَلاَة الْفجْر، أشق مِنْهُ إِلَى بَقِيَّة الصَّلاَة، لمصادفة ذَلِك الظلمَة، وَوقت النومة المشتهاة طبعا. وَالله أعلم. وهَذَا كله مِمَّا تضاعف بِهِ الصلاة فِي الجماعة، وتزداد بِهِ عَلَى صلاة الفذ فضلاً وأجراً عِنْدَ الله – عز وجل –، وليس يخْتَص ذَلِكَ بصلاة الفجر دون غيرها من الصلوات. (٣)

آثار وعقوبات ترْك الفجر:

وكما أنَّ للمُحافِظ على صلاة الفجر كُنُوزًا منَ الحَسَنات، فإنَّ هناكَ آثارًا؛ بل عقوبات مخيفة لِمَن ضَيَّعَ هذه الصلاة

– الويل والغي:

قال الله – تعالى –: {**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**} [مريم: **٥٩**]. وكما قال ابن عبَّاسرضي الله عنهما: "أما إنهم لم يتركوها بالكليَّة؛ ولكن أخَّروها عن وقتها كَسَلاً، وسهْوًا، ونومًا". والغيُّ: وادٍ في جهنَّم – أعاذنا الله منها – تتعوَّذ منه النار في اليوم سبعين مرة؛ فكيف بمن يُلْقى فيه؟! وقال الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ

(١) كنوز من الحسنات في صلاة الفجر فضل صلاة الفجر

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٣٢)

(٣) المتواري على أبواب البخاري (ص: ٩٧) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٢٥)

هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤، ٥]. (١)

- بول الشيطان في أذن النائم عن الصلاة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺقَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ! فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِماً حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَقَالَ: "**بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ** "(٢).

ومعنى هذا: أنَّ الشيطان قدِ استولى عليه، واستخفّ به، حتى جَعَلَهُ مكانًا للبول - والعياذ بالله. قَالَ سُفْيَانُ هَذَا. عِنْدَنَا. يُشبه أن يكون نام عن الفريضة

قوله: (بال الشيطان فى أذنه) على سبيل الإغياء من تحكم الشيطان فى العقد على رأسه بالنوم الطويل، وقال ابن مسعود: كفى لامرئ من الشر أن يبول الشيطان فى أذنه.(٣)

- الكسل وخبث النفس:

ومن آثار ترْك صلاة الفجر أن يصبحَ الشَّخص كَسُولاً؛ كما في الحديث: **يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ ... وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ** "(٤) إذا لم يصل (أصبح خبيث النفس)، أى مهمومًا بجواز كيد الشيطان عليه، (كسلانا) بتثبيط الشيطان له عما كان اعتاده من فعل الخير. (٥)

الخوف من النفاق:

إن التهاون في أداء صلاة الفجر مع الجماعة من علامات النفاق، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺقَالَ: **صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: " أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ؟ " فَقَالُوا لاَ، فَقَالَ: " أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ " فَقَالُوا لاَ، لِنَفَرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الصَّلاَةَ فَقَالَ: " إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ - الفجر والعشاء - أَثْقَلُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا - يعني من الأجر - لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً** "(٦)

---

(١)صلاة الفجر يحيى بن موسى الزهراني

(٢)البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤)

(٣)التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤/ ٢٥٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٣٦)

(٤)البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦).

(٥)شرح صحيح البخارى لابن بطال (٣/ ١٣٥)

(٦)أبو داود (٥٥٤)، والدارمي (١٢٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٦٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلاَةُ الْعِشَاءِ، وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ "(١)

وإِنَّمَا كَانَتْ هَاتَانِ الصَّلاَتَانِ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ. لِقُوَّةِ الدَّاعِي إِلَى تَرْكِ حُضُورِ الْجَمَاعَةِ فِيهِمَا، وَقُوَّةِ الصَّارِفِ عَنْ الْحُضُورِ، أَمَّا الْعِشَاءُ: فَلأَنَّهَا وَقْتُ الْإِيوَاءِ إِلَى الْبُيُوتِ وَالِاجْتِمَاعِ مَعَ الْأَهْلِ، وَاجْتِمَاعِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَطَلَبِ الرَّاحَةِ مِنْ مَتَاعِبِ السَّعْيِ بِالنَّهَارِ. وَأَمَّا الصُّبْحُ: فَإِنَّهَا فِي وَقْتِ لَذَّةِ النَّوْمِ. فَإِنْ كَانَتْ فِي زَمَنِ الْبَرْدِ فَفِي وَقْتِ شِدَّتِهِ، لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِالشَّمْسِ، لِطُولِ اللَّيْلِ، وَإِنْ كَانَتْ فِي زَمَنِ الْحَرِّ: فَهُوَ وَقْتُ الْبَرْدِ وَالرَّاحَةِ مِنْ أَثَرِ حَرِّ الشَّمْسِ لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِهَا. فَلَمَّا قَوِيَ الصَّارِفُ عَنْ الْفِعْلِ ثَقُلَتْ عَلَى الْمُنَافِقِينَ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ الْإِيمَانِ: فَهُوَ عَالِمٌ بِزِيَادَةِ الْأَجْرِ لِزِيَادَةِ الْمَشَقَّةِ فَتَكُونُ هَذِهِ الْأُمُورُ دَاعِيَةً لَهُ إِلَى هَذَا الْفِعْلِ، كَمَا كَانَتْ صَارِفَةً لِلْمُنَافِقِينَ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ " وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا " أَيْ مِنْ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ " لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا "(٢)

الأسباب المعينة على صلاة الفجر في جماعة:

وهناك أمورٌ تساعد على أداء صلاة الفجر في جماعة؛ منها:

- استشعار عظمة الله وأمره، والخوف من عقابه وبطشه. والاهتمام بهذه الشعيرة وأنها ركن من أركان الإسلام.

- النوم مبكرًا؛ لأنَّ الجسمَ له راحة، وإن طول السَّهَر يحرم الإنسان منَ الاستيقاظ المبكِّر، وقد ورد النَّهى عنِ السَّمر بعد العشاء إلاَّ للضرورة.

- الحِرْص على آداب النَّوم؛ من الوضوء، وأداء ركعتين، وأذكار النَّوم، وقراءة المعوذتينِ في الكفين ومسح ما استطاع منَ الجسد، والنَّوم على الشقِّ الأيمن، ووضع الكفِّ اليمنى تحت الخد الأيمن، والدعاء بالتوفيق للقيام.

---

(١)البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٩٣)شرح رياض الصالحين (٥/ ٨٢)

– عدم الإكثار منَ الطَّعام والشَّراب؛ لأنَّ كثْرة الأكل تورِّثُ ثقلاً في الجسم، والنوم، وتُقَلِّل الخشوع.

– البُعد عنِ المعاصي، وذلك بِحفْظِ الجوارح بالبُعد عنِ النَّظَر الحرام، وآفات اللسان والسمع، وسائر الأعضاء، فمَن نام على معصيةٍ عُوقِبَ بالحِرْمان مِن شُهُود الفجر؛ لأنَّ مَن أساء في ليلِه عُوقِبَ في نهاره، ومَن أساء في نهارِه، عُوقِبَ في ليله.

– إنَّ الأمر يحتاج إلى مجاهَدة طويلة، وصبر وعناد مع الشيطان، فإما أن تقهَرَه بالقيام إلى صلاة الفجر، وإمَّا أن ينتصر عليك. واستعِن بالله، وتوكَّل على الله، فإنه مَن توكَّل على الله كفاه، ومَن آوى إلى الله آواه.

– أن يستشعر ما ودر في فضل صلاة الفجر من الأجر العظيم وما ورد في ذم تاركها مع الجماعة ومؤخرها عن وقتها من الزجر والتوبيخ

– أن يحرص المسلم على أن ينفي عن نفسه صفة المنافقين (١)

مواقف للسلف من صلاة الفجر:

وعن معمر عن الزهري عن سليمان بن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبد الله قالت: ((دخل عليَّ بيتي عمر بن الخطاب، فوجد عندي رجلين نائمين، فقال: وما شأن هذين ما شهدا معي الصلاة؟ قلت: يا أمير المؤمنين صليا مع الناس. وكان ذلك في رمضان. فلم يزالا يصليان حتى أصبحا، وصليا الصبح، وناما، فقال عمر: لأن أصلي الصبح في جماعة أحب إلي من أن أصلي ليلة حتى أصبح)). (٢)

وعن يحيى بن عبدالرحمن بن مهدي: أن أباه قام ليلة. وكان يُحيي الليل كله. فلما طلع الفجر رمى بنفسه على الفراش، فنام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فقال: هذا مما جنى عليّ هذا الفراش، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض وجلده شيئا شهرين، فقرح فخذاه جميعا. (٣)

---

(١)من فوائد صلاة الفجر أحمد خالد العتيبي البشائر العشر لمن حافظ على صلاة الفجر

(٢)مصنف عبد الرزاق ١/ ٥٢٦

(٣)الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٠ أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢:

وعن غالب القطان أن أناسا أتوه في قسمة ميراث لهم، فقسمه معهم يومهم أجمع، حتى إذا أمسى آوى إلى فراشه، وقد لغب، فاتكأ على مسجد له، فغلبته عينه، فأتاه المؤذن يثوب، قالت له المرأة: ألا ترى المؤذن. يرحمك الله. يثوب على رأسك؟! (١)

وعَن رَجُل من أهل الشام، قَالَ: صليت وراء معاذ بن جبل الصبح، فلما انصرف قَالَ: إن هذه الصلاة مقبولة مشهودةٌ، يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، ويطلع الله فيها عَلَى عباده فيغفر لهم، فارغبوا فيها، واشهدوها، واحضروها. (٢)

فصلاة الفجر هي الميزان الإيماني فكان الصحابةرضي الله عنهم يجعلون حضور صلاة الفجر هو الميزان الذي يزنون به الرجال، فمن حضرها وثقوه، ومن غاب عنها أساؤوا به الظن فهذا عمررضي الله عنه يقول: كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا الظن به))

فهل تهز هذه الكلمات رجال اليوم وتجعلهم يتنافسون ويكونون من رجال الفجر، ثم كيف يهنأ هذا المتخلف بالنوم والناس في المساجد مع قرآن الفجر يعيشون وإلى لذيذ خطاب الله يستمعون.

إن من آثر لذة الفراش على لذة المناجاة إنه في الحقيقة هو الخسران فهو والله المحك على صدق إيمان العبد فإذا كان الرجل يشهد صلاة الفجر فلنشهد له بالإيمان. (٣)

والحمد لله رب العالمين

(١)أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٨٣

(٢)أبو نعيم في ((كِتَاب الصلاة)) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٢٣)

(٣) صلاة الفجر يحيى بن موسى الزهراني .

٣ـالخشوع في الصلاة

عناصر الخطبة: ١- تعريف الخشوع. ٢- حكم الخشوع في الصلاة. ٣- فوائد الخشوع في الصلاة. ٤- الأسباب التي تعين علي الخشوع. ٥- نماذج للخاشعين.

مقدمة: إن الصلاة التي يريدها الإسلام والتي تشتمل على الفضائل ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب، أو تلك التي ينقرها صاحبها نقر الديك، كلا وإنما الصلاة التي يريدها الإسلام هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله لأن القصد الأول من الصلاة هو تذكير الإنسان بربه عز وجل {وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي} فالصلاة التي يريدها الإسلام لابد فيها من حضور القلب والعقل معا فالقلب يستحضر عظمة المعبود والعقل يتدبر فيما يتلى من القرآن، وبحضور القلب والعقل تسكن الجوارح ويتم الخشوع، وتؤتي الصلاة ثمارها، ويحظى المصلي بفضلها وثوابها وتقوى صلته بربه فيسعد في الدنيا والآخرة يقول ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ. (١)

ـ تعريف الخشوع

الخشوع لغة:الْخُشُوعُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفَاضُ، وَالذُّلُّ، وَالسُّكُونُ، قَالَ تَعَالَى {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} [طه: ١٠٨] أَيْ سَكَنَتْ، وَذَلَّتْ، وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ وَصْفُ الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، وَهُوَ يُبْسُهَا، وَانْخِفَاضُهَا، وَعَدَمُ ارْتِفَاعِهَا بِالرَّيِّ وَالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**} [فصلت: **٣٩**]. (٢)

الخشوع اصطلاحاً:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ. (٣)

فالخشوع هو: سكون القلب وخضوعه الذي يترتب عليه سكون الجوارح، وهو مبني على

---

(١) العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع (ص: ٩٤)

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٦)

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

حضور القلب مع الله تعالى ومع الصلاة.

والخشوع هو روح الصلاح وجوهرها، ولذلك جعله الله تعالى أول صفات المؤمنين الذين حكم لهم بالفلاح في قوله تعالى {**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ**} [المؤمنون: ١ - ٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي خائفون ساكنون.

قال الطبري رحمه الله: أي الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ مُتَذَلِّلُونُ لِلَّهِ بِإِدَامَةِ مَا أَلْزَمَهُمْ مِنْ فَرْضِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَإِذَا تَذَلَّلَ لِلَّهِ فِيهَا الْعَبْدُ رُؤِيَتْ ذِلَّةُ خُضُوعِهِ فِي سُكُونِ أَطْرَافِهِ، وَشُغْلِهِ بِفَرْضِهِ، وَتَرْكِهِ مَا أُمِرَ بِتَرْكِهِ فِيهَا. (١)

أصل الخشوع ومحله وصفته:

فأصل الخشوع كما قال ابن رجب رحمه الله: أصل الخشوع هو: لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته.

ومحله القلب ويظهر أثر ذلك على الجوارح:

فَإِذَا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له، كما قال ﷺ: ((**أَلاَ إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**)). فَإِذَا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه، وسائر الأعضاء. لهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: ((**خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي**)).

ورأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة فَقَالَ: لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه.(٢)

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمه الله: كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الْجَنَاحَ.(٣)

قال ابن القيم: وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ(٤)

أما إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح ولم يكن في القلب شيء منه فهذا خشوع النفاق.

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٠)

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٩٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١)

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

قال حُذَيْفَةُ بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ.

وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلاً طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ. (١)

حكم الخشوع في الصلاة

الخشوع في الصلاة واجب على الصحيح للأدلة الآتية:

١ – قال الله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَهَذَا يَقْتَضِي ذَمَّ غَيْرِ الْخَاشِعِينَ. . . . وَالذَّمُّ لَا يَكُونُ إلَّا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْخَاشِعِينَ مَذْمُومِينَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى وُجُوبِ الْخُشُوعِ. (٢)

وعَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّه قال: كُلُّ صَلاَةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا الْقَلْبُ فَهِيَ إِلَى الْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: أَجْمَعَتِ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلاَتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ منها. (٣)

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْخُشُوعِ، هَلْ هُوَ مِنْ فَرَائِضِ الصَّلاَةِ أَوْ مِنْ فَضَائِلِهَا وَمُكَمِّلاَتِهَا عَلَى قَوْلَيْنِ. وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ. (٤)

٢– وقوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون: ١ – ١١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يَرِثُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ. وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرِثُهَا غَيْرُهُمْ. وَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَى وُجُوبِ هَذِهِ الْخِصَالِ. إذْ لَوْ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٣)

(٣) تفسير الرازي(٢٣/ ٢٦٠)

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٤)

كَانَ فِيهَا مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَكَانَتْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ تُورَثُ بِدُونِهَا لَأَنَّ الْجَنَّةَ تُنَالُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ دُونَ الْمُسْتَحَبَّاتِ. وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَّا مَا هُوَ وَاجِبٌ. (١)

قال الغزالي رحمه الله: تحت باب بيان اشْتِرَاطُ الْخُشُوعِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ

اعْلَمْ أَنَّ أَدِلَّةَ ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ((أقم الصلاة لذكري)) وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ وَالْغَفْلَةُ تُضَادُّ الذِّكْرَ فَمَنْ غَفَلَ فِي جَمِيعِ صَلَاتِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُقِيمًا لِلصَّلَاةِ لِذِكْرِهِ!. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ((وَلَا تَكُنْ مِنَ الغافلين)) نهيٌ وظاهره التحريم. . . . وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمُصَلِّيَ مُنَاجٍ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْكَلَامُ مَعَ الغفلة ليس بمناجاة ألبتة. (٢)

فوائد الخشوع في الصلاة

أولاً: الخشوع يجعل الصلاة محبوبة ويسيرة على المصلي، قال الله تعالى: **{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}** [البقرة: ٤٥]

قال الشيخ السعدي رحمه الله: {وَإِنَّهَا} أي: الصلاة {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ} فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحا صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. (٣)

- بل إنّ الخشوع يجعل الصلاة مفزعاً للعبد من همومه وأحزانه

فعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى. (٤)

وقال صهيب الرومي رضي الله عنه وهو يحكي حال نبي من الأنبياء وأصحابه: وَكَانُوا إِذَا فَزِعُوا، فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ. (٥)

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٤)

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٥٩)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥١)

(٤) رواه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٨٥٨)

(٥) أحمد (٦/ ١٦).

قال ابن القيم رحمه الله: وَلِلصَّلاَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلاَةَ صِلَةٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ. (١)

ثانياً: هي أعظم أسباب حفظ الفرد والمجتمع من الفحشاء والمنكر

قال الله تعالى: {**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**} [العنكبوت: ٤٥]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ بِصَلاَتِهِ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا". (٢)

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَة: إِنَّ الصَّلاَةَ فِيهَا ثَلاَثُ خِصَالٍ، فَكُلُّ صَلاَةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْخِلاَلِ فَلَيْسَتْ بِصَلاَةٍ: الْإِخْلاَصُ، وَالْخَشْيَةُ، وَذِكْرُ اللَّهِ. فَالْإِخْلاَصُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالْخَشْيَةُ تَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَذِكْرُ الْقُرْآنِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ. (٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الصَّلاَةَ إِذَا أَتَى بِهَا كَمَا أُمِرَ نَهَتْهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَإِذَا لَمْ تَنْهَهُ دَلَّ عَلَى تَضْيِيعِهِ لِحُقُوقِهَا، وَإِنْ كَانَ مُطِيعًا. (٤)

قال القرطبي رحمه الله: فَإِذَا دَخَلَ الْمُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ وَخَشَعَ وأخبت لربه وادكر أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ وَيَرَاهُ، صَلُحَتْ لِذَلِكَ نَفْسُهُ وَتَذَلَّلَتْ، وَظَهَرَتْ عَلَى جَوَارِحِهِ هَيْبَتُهَا، فَهَذِهِ صَلاَةٌ تَنْهَى وَلَا بُدَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَمَنْ كَانَتْ صَلاَتُهُ دَائِرَةً حَوْلَ الْإِجْزَاءِ، لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا تَذَكُّرَ وَلَا فَضَائِلَ، كَصَلاَتِنَا- وَلَيْتَهَا تَجْزِي- فَتِلْكَ تَتْرُكُ صَاحِبَهَا مِنْ مَنْزِلَتِهِ

---

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٢٥٠).

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٤٠٨)

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٢)

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٥)

حَيْثُ كَانَ، فَإِنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ مَعَاصٍ تُبْعِدُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَرَكَتْهُ الصَّلاَةُ يَتَمَادَى عَلَى بُعْدِهِ. (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ ﷺ: ((إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ)) أي صلاته. (٢)

- تكفير الذنوب، وتحصيل الثواب الجزيل الذي أعدَّه الله للخاشعين من عباده:

عن عُثْمَانَ بن عفان ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **((مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ))**. (٣)

- الصلاة ذات الخشوع هي أعظم ما يُعين المرء على أموره الدينية والدنيوية:

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}

قال السعدي رحمه الله: أمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن، وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. (٤)

- الخشوع يحفظ على العبد صلاته من الضياع:

عن عَمَّار بْن يَاسِرٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلاَّ عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا))**. (٥)

---

(١) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٤٨)

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٤٧) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨٩)

(٣) رواه مسلم (٢٢٨)

(٤) تفسير السعدي (ص: ٧٥)

(٥) رواه أحمد (٤/ ٣٢١) وصححه الألباني في صلاة التراويح (ص: ١١٩)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً مَا تُقْبَلُ لَهُ صَلاَةٌ، لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ، وَلاَ يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ، وَلاَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ**)). (١)

وعَنْ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى صَلاَةِ عَبْدٍ لاَ يُقِيمُ فِيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا**)). (٢)

فليحذر النَّقَّارون لصلاتهم والغافلون عن الخشوع في صلاتهم فلربما صلى طوال عمره ولم تُقبل له صلاة.

فعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: الصَّلاَةُ مِكْيَالٌ، فَمَنْ وَفَّى وُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُطَفِّفِينَ. (٣)

قال ابن القيم: فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه. (٤)

- الخشوع في الصلاة مقياس وميزان لكمال الإيمان أو ضعفه في قلب العبد:

قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلاَةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلاَ تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا. (٥)

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا. (٦)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما حظهم من الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله عز وجل ولا قدر للإسلام عندك. فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك.

وليس حظ القلب العامر بمحبة الله وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك فإذا وقف الاثنان بين يدي الله في الصلاة وقف هذا

---

(١) أخرجه الأصبهاني في " الترغيب " (٢٣٦ / ٢) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٨١)

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٧)

(٣) تنبيه الغافلين (ص: ٥٣٨)

(٤) الوابل الصيب (ص: ١٠)

(٥) مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

(٦) حلية الأولياء (٥/ ١٢٤)

بقلب مخبت خاشع له، قريب منه سليم من معارضات السوء قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات فيرتع في رياض معاني القرآن. [1]

الأسباب التي تعين على الخشوع في الصلاة:

- أولاً: العلم بالصلاة وواجباتها وسننها وشروطها وأركانها وبما يبطلها:

فالعلم هو أساس صحة الأعمال وكمالها لذلك قال البخاري في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل.

فالخشوع في الصلاة لا يكون إلا بتعلم أحكام الصلاة وصفتها، فإن أكثر الناس يصلون اليوم لأنهم وجدوا آباءهم يصلون فقلدوهم، أو وجدوا الناس يصلون ففعلوا مثلهم، لكن هلا سألوا أنفسهم: هل هذه الصلاة التي نصليها هي الصلاة التي أمرنا بها الله؟ هل هي الصلاة التي قال عنها النبي ﷺ: ((**صلوا كما رأيتموني أصلي**)). !

- ثانياً: الاستعداد للصلاة قبل دخول وقتها:

فالاستعداد للصلاة مبكراً أمرٌ مهم في تحقيق الخشوع فيها. لا كما يفعله البعض من الذين لا يأتون الصلاة إلا بعد سماع الإقامة فيأتون إليها مسرعين ويؤدونها مسرعين، وينتهون منها مسرعين ولا خشوع ولا خضوع، لكن لو توضأت مبكراً وجئت إلى المسجد مبكراً فصليت السنة بتدبر ووعي وقرأت شيئاً من القرآن ورفعت يديك إلى الله ودعوت فإنك ستشعر بلذة العبادة وستخشع في صلاتك.

- ثالثاً: صلاة السنن النافلة قبل الفريضة.

فتعتبر السنن القبلية كمقدمة للفريضة ليتهيأ المسلم من خلالها ويُجمع قلبه وعقله حتى إذا دخل في صلاة الفريضة كان حاضر القلب والذهن.

- رابعاً: إذا أقبلت إلى الصلاة فاخلع الدنيا من قلبك خارج المسجد كما تخلع نعليك.

قال ابن كثير رحمه الله: وَالْخُشُوعُ فِي الصَّلاَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِمَنْ فَرَّغ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ رَاحَةً لَهُ وقُرَّة عَيْنٍ. [1]

---

[1] الصلاة وأحكام تاركها (ص: ١٤١)

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه، يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ. [٢]

*** وإياك والالتفات في الصلاة:**

والالتفات في الصلاة نوعان: (أحدهما) التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى. (الثاني) التفات البصر وكلاهما منهي عنه. ولا يزال الله تعالى مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه. وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال ((**هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ**)) [٣]

خامساً: أن تصلي صلاة مودع. قُلْ لنفسك: لعلها آخر صلاة، ((والأعمال بالخواتيم)).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي، وَأَوْجِزْ، قَالَ: ((إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ)). [٤]

إن معرفة الدنيا على حقيقتها تساعد المرء على امتثال تلك الوصية وهي أن يصلي صلاة مودّع، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: ((إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)). [٥]

وانظر إلى هذا المثال، فعن حاتم الأصم رحمه الله: أنه سُئل كيف يخشعُ في صلاته؟ فقال: إذا حانتِ الصلاةُ أسبغتُ الوضوءَ وأتيتُ الموضعَ الذي أُريدُ الصلاةَ فيه فأقعدُ فيه حتى تجتمعَ جوارحي، ثم أقومُ إلى صلاتي، وأجعلُ الكعبةَ بين حاجبي، والصراطَ تحتَ قدميَّ، والجنةَ عن يميني، والنارَ عن شمالي، وملَكَ الموتِ ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقومُ بين الرجاءِ

---

[١] تفسير ابن كثير(٥/ ٤٦١)

[٢] إحياء علوم الدين (١/ ١٧٢)

[٣] رواه البخاري(٧٥١) (الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٠)

[٤] رواه ابن ماجة (٤١٧١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٩٠)

[٥] رواه البخاري (٦٤١٦)

والخوفِ، وأكبِّرُ تكبيراً بتحقيقٍ، وأقرأُ قراءةً بترتيلٍ، وأركعُ ركوعاً بتواضعٍ، وأسجدُ سجوداً بتخشُّعٍ، وأتبعها الإخلاص، ثمَّ لا أدري أَقُبلتْ مني أم لا. (١)

سادساً: حضور القلب واستحضار عظمة الرب جلّ وعلا:

فليستحضر العبد أنه واقف بين يدي ربه، وأنه سبحانه قريب منه يراه ويسمعه ويطلع على ما في قلبه وضميره، فيستحي من ربه عز وجل أنّ يطلع عليه وهو غافل عنه. وذلك يتولد من شيئين: معرفة جلال الله -تعالى- وعظمته، ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة؛ فيتولد من المعرفتين: الاستكانة والخشوع.

وتدبر هذا الحديث بعين بصيرتك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ**)). (٢)

قال ابن كثير رحمه الله: وَالْحَامِلُ عَلَى الخشوع هو الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمُرَاقَبَتُهُ وَالتُّؤَدَةُ وَالْوَقَارُ وَالتَّوَاضُعُ. (٣)

- سابعاً: من أسباب الخشوع في الصلاة: قطع الحركة والعبث وملازمة السكون

ولهذا لما رأى بعض السلف رجلا يعبث بيده في الصلاة قال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه.

قال أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: الصَّلاَةُ قُرْبَانٌ، إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَرَادَ مِنْ إِمَامٍ حَاجَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً، إِذَا قَامَ الرَّجُلُ إِلَى الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ فِي مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَاقِفٌ فِيهِ عَلَى اللَّهِ يُنَاجِيهِ وَيَرْضَاهُ، قَائِمًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ، يَسْمَعُ لِقِيلِهِ، وَيَرَى عَمَلَهُ، وَيَعْلَمُ مَا يُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلْيُقْبِلْ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَجَسَدِهِ. (٤)

وهكذا كان هدي السلف الصالح رحمهم الله أجمعين، فإنهم عَرَفُوا طَرِيقَ النَّجَاةِ فَوَقَفُوا عَلَى قَدَمِ الأَدَبِ فِي الْمُنَاجَاةِ، فَنَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَا رَجَاهُ، فَلَهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُ قَدْرٍ وَجَاهٍ. (٥)

عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ مُلْقًى. (١)

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ١٥١)

(٢) رواه ابن خزيمة (٤٧٤) رواه لحاكم (١/ ٣٦١)

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٨)

(٤) تعظيم قدر الصلاة (١/ ١٨٥)

(٥) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٥)

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةَ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنَ الْخُشُوعِ. (٢)

قَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: لَوْ رَأَيْتَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يُصَلِّي لَقُلْتَ: غُصْنُ شَجَرَةٍ يُصَفِّقُهَا الرِّيحُ، وَإِنَّ الْمَنْجَنِيقَ لَيَقَعُ هَهُنَا وَهَهُنَا مَا يُبَالِي {يعني أيام حصاره}. (٣)

وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ رحمه الله: لا يَلْتَفِتُ فِي صَلاتِهِ وَلَقَدِ انْهَدَمَتْ نَاحِيَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَفَزِعَ لَهَا أَهْلُ السُّوقِ فَمَا الْتَفَتَ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلَهُ سَكَتَ أَهْلُ بَيْتِهِ، فَإِذَا قَامَ يُصَلِّي تَكَلَّمُوا أَوْ ضَحِكُوا عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهُمْ. (٤)

- ثامناً: عليك بالطمأنينة وألا تتعجل في أداء الصلاة.

فلقد صلّى رجلٌ أمام رسول الله ﷺ فلم يطمئن في صلاته، ولم يتم ركوعها ولا سجودها، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: ((**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**)).

أما الصلاة السريعة التي لا خشوع فيها ولا اطمئنان، فهذه صلاة المنافق الذي يؤدي الصلاة تخلصاً لا إخلاصاً وتقرباً، كما وصفه رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**))(٥)

ومثل هذه الصلاة لا تجزئ عن صاحبها كما في حديث أَبِي مَسْعُودٍ البدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**لَا تُجْزِئُ صَلاَةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ**)). (٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَمَنْ نَقَرَ نَقْرَ الْغُرَابِ لَمْ يَخْشَعْ فِي سُجُودِهِ ولا ركوعه. . . فَمَنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ لَمْ يَسْكُنْ وَمَنْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَخْشَعْ فِي رُكُوعِهِ وَلَا فِي سُجُودِهِ. وَمَنْ لَمْ يَخْشَعْ كَانَ آثِمًا عَاصِيًا وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ. (٧)

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٤١)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٤٠)

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٣٥)

(٤) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٥)

(٥) رواه مسلم (٦٢٢)

(٦) رواه النسائي (١٠٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢١١)

(٧) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٥٨)

أقسام الناس في الخشوع في الصلاة:

الناس يختلفون في الخشوع في الصلاة على حسب حضور قلب كل إنسان، وغفلته، وإقباله على صلاته، وانصراف قلبه عن ربه، والعياذ بالله تعالى، والناس في الخشوع في الصلاة على أقسام خمسة على النحو الآتي:

أَحَدُهَا: مَرْتَبَةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُفَرِّطِ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَصَ مِنْ وُضوئِهَا وَمواقِيتُهَا وَحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا.

الثاني: مَنْ يُحَافِظُ عَلى مَواقِيتُهَا وَحُدودِهَا وَأَرْكَانِهَا الظاهِرَةِ وَوُضوئِهَا لَكِنْ قَدْ ضَيعَ مُجاهَدَةَ نَفْسِهِ فِي الْوَسْوَسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الْوسَاوِسِ والأَفْكَارِ.

الثالثُ: مَنْ حَافَظَ عَلى حُدُودِهَا وأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي دَفْعِ الْوَسَاوسِ والأَفْكَار فَهُوَ مَشْغولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ لِئلا يَسْرِقَ صَلاتَهَ فَهُوَ فِي صَلاةٍ وَجِهَادٍ.

والرَّابعُ: مَنْ إِذَا قَامَ إلى الصَّلاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وَأَرْكَانَهَا وَحُدُودَهَا واسْتَغرقَ قَلْبُه مُرَاعَاةَ حُدُودِهَا وَحُقوقِهَا لِئلا يَضِيعَ شَيءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كلّه مَصْرُوفٌ إِلى إِقَامَتِهَا كَمَا يَنْبَغِي إِكْمَالِهَا وإِتْمَامُهَا، قَدْ اسْتَغْرقَ قَلْبُه شَأْنَ الصلاةِ عُبُودِيَّةُ ربِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا.

الخامِسُ: مَنْ إِذَا قَامَ إِلى الصَّلاةِ قَامَ إِلَيْهَا كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَه وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاظِرًا بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ مُرَاقِبًا لَهُ مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدهُ، وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ والْخَطَرَاتُ وارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَهَذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الصَّلاةِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَهَذَا فِي صَلاتِه مشغولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيرُ الْعَيْنِ.

فالقِسْمُ الأَوَّلُ: مُعَاقَبٌ. والثاني: مُحَاسَبٌ. والثَّالثُ: مُكَفَّرٌ عَنْهُ. والرَّابعُ: مُثَابٌ.

والْخَامِسُ: مُقَرَّبٌ مِنْ رَبِّهِ لأَنَّ لَهُ نَصِيبًا مِمَّنْ جُعلَتْ قُرَّةُ عينه في الصَّلاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُه بِصَلاتِهِ فِي الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنِهِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُه باللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَينُه باللهِ تَعالى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَات. [1]

نماذج للخاشعين:

*** ها هو سيد الخاشعين وإمام المخبتين الخائفين من ربِّ العالمين، رسولُ الله ﷺ.**

[1] الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٣)

فعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بن الشخير رضي الله عنه، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ)) يَعْنِي: يَبْكِي. (١)

وفي رواية: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ)). (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ لِي رسول الله ﷺ: ((يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي)) قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ ، قَالَ: ((أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. . . })) الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠]. (٣)

*** وكان الصدِّيق رضي الله عنه إذا صلى بالناس لا يُسمعهم من بكائه رضي الله عنه.**

فعَنْ عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ))، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ. . . الحديث. (٤)

*** وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان تحت عينيه من البكاء.**

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ رحمه الله، قَالَ: " صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه العِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ فَلَمَّا أَتَى عَلَى ذِكْرِ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَمِعْتُ نَشِيجَهُ، وَإِنِّي لَفِي آخِرِ الصَّفِّ. (٥)

وهذا عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: كَانَ إِذَا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: جَاءَ وَقْتُ الْأَمَانَةِ الَّتِي عَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ،

---

(١) رواه النسائي (١٢١٤) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣١٦)

(٢) رواه أبو داود (٩٠٤) أَزِيزُ الْمِرْجَلِ: صَوْتُهُ، يُرِيدُ غَلَيَانَ جَوْفِهِ بِالْبُكَاءِ.

(٣) رواه ابن حبان (٦٢٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٨٨)

(٤) متفق عليه

(٥) شعب الإيمان (٣/ ٤١٥)

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ، فَلاَ أَدْرِي أَأُحْسِنُ أَدَاءَ مَا حَمَلْتُ أَمْ لَا. [1]

وهذا ابنه الْحَسَن بْن عَلِيٍّ رضي الله عنهما، كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَكَانَ إِذَا أَتَى بَابَ الْمَسْجِدِ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: إِلَهِي عَبْدُكَ بِبَابِكَ، يَا مُحْسِنُ قَدْ أَتَاكَ الْمُسِيءُ. وَقَدْ أَمَرْتَ الْمُحْسِنَ مِنَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمُسِيءِ، فَأَنْتَ الْمُحْسِنُ، وَأَنَا الْمُسِيءُ، فَتَجَاوَزْ عَنْ قَبِيحِ مَا عِنْدِي بِجَمِيلِ مَا عِنْدِكَ، يَا كَرِيمُ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ. [2]

وانظر إلى هذا المثال الرائع:

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَافِلاً، وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا، فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلاً، فَقَالَ: ((مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟)) فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ))، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ، قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ؟ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ، فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ، فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ، فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَلاَ أَهْبَبْتَنِي قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ، **وَايْمُ اللهِ، لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا، أَوْ أُنْفِذَهَا.** [3]

---

[1] تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: **٥٣٩**)

[2] تنبيه الغافلين للسمرقندي (ص: **٥٣٩**)

[3] رواه أحمد (**٣/ ٣٤٤**)

وهذا عروة بن الزبير رحمه الله:

لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه.

وربما ترقت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له: ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر؟ فقال: لا! والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شرابا ويأكل شيئاً يذهب عقله، ولكن إن كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإني لا أحسن بذلك، ولا أشعر به.

قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان الحي، احتياطاً أنه لا يبقى منها شئ، وهو نائم يصلي، فما تضور ولا اختلج. [1]

والحمد لله رب العالمين

[1] البداية والنهاية (٩/ ١٢٠)

obeikandl.com

٤ـ فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

عناصر الخطبة

تقديم فضائلها لوعة الفراق

التفصيل

تقديم

حديثنا عن الأم المثالية والزوجة المثالية والمرأة المثالية... حديثنا عن الصديقة الكبرى حبيبة رسول الله ﷺ الأولى التي رزق النبي ﷺ حبها أول بيت شع فيه نور الإسلام وأشرقت فيه شمسه واستخرجت فيه شهادات الوفاة لأصنام مكة ولسائر الأوثان إنها مرأة من أهل الجنة إنها المرأة الكاملة أمنا خديجة رضي الله عنها

هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تجتمع مع النبي ﷺ في قصي وهي من أقرب نسائه إليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة، تزوجها ﷺ بمكة وهو ابن خمسة وعشرين سنة وقد بقيت رضي الله عنها مع النبي ﷺ إلى أن أكرمه الله برسالته، وكانت أول من آمن به من النساء، وصدقته ونصرته فكانت له وزير صدق وهي سيدة نساء العالمين في زمانها، وهي ممن كمل من النساء فقد كانت عاقلة جليلة دينة مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان ﷺ يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في تعظيمها، ولم يتزوج النبي ﷺ امرأة قبلها، وكل أولاده منها إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من سريته مارية رضي الله عنها، ولم يتزوج النبي ﷺ عليها امرأة قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها فوجد لفقدها فإنها كانت نعم القرين فلقد أنفقت عليه ﷺ من مالها واتجر فيه لها رضي الله عنها، وكانت وفاتها رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين. [1]

---

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي (١/ ٤٠٧) وانظر: طبقات ابن سعد ١/ ١٣١، أسد الغابة ٥/ ٤٣٤، الإصابة ٤/ ٢٧٣-٢٧٦. وهذا ذكر مجمل لزوجات النبي ﷺ كما في البداية والنهاية (٥/ ٣٢١) قال ابن كثير: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ: فَمَاتَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ لَمْ يتزوَّج عَلَيْهَا امْرَأَةً حتَّى مَاتَتْ، فتزوَّج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَها سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَها عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا وَلَمْ يُصِبْ مِنْهَا وَلَدًا حتَّى مَاتَ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَها حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَها زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ الْهِلَالِيَّةَ أُمَّ الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، قَالَ ثُمَّ تَزَوَّجَ بَعْدَها صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، ثُمَّ تزوَّج بَعْدَهَا مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةَ.

فضائلها

١ـ هي أول من آمن بالنبي ﷺ وآزرة وثبته في محنته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: ((مَا أَنَا بِقَارِئٍ))، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: ((**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**)) فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: ((لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)) فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: **كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ**، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ))، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ [1].

---

[1] (الصالحة) الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها. (فلق الصبح) ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين. (الخلاء) الانفراد. (بغار حراء) الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة. (ينزع) يرجع. (ما أنا بقارىء) لا أعرف القراءة ولا أحسنها. (فغطني) ضمني وعصرني حتى حبس نفسي ومثله غتني. (الجهد) غاية وسعي. (أرسلني) أطلقني. (علق) جمع علقة وهي المني بعد أن يتحول إلى دم غليظ متجمد والآيات المذكورة أول ما نزل من القرآن الكريم وهي أوائل سورة العلق. (يرجف فؤاده) يخفق قلبه ويتحرك بشدة. (زملوني) لفوني وغطوني. (الروع) الفزع. (ما يخزيك) لا يذلك ولا يضيعك. (لتصل الرحم) تكرم القرابة

فهذا الحديث تضمن ذكر منقبة ظاهرة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أنها كانت تقوي قلب النبي ﷺ في بداية نزول الوحي عليه وطمأنته عليه الصلاة والسلام مما كان يخشاه على نفسه وهونت عليه الأمر وأنه لا خوف عليه ولا حزن وأقسمت للنبي ﷺ على أن الله لا يخزيه ولا يخذله واستدلت على ما أقسمت عليه بما فيه من صفاته الطيبة من أصول مكارم الأخلاق التي هي إحسانه إلى الأقارب والأجانب إما بالبدن، وإما بالمال وبينت له أن من وجدت فيه هذه الخصال الحميدة لن يخزيه الله أبداً. [1]

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِيَاسِ بْنِ عَفِيفٍ الْكِنْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا، فَقَدِمْتُ الْحَجَّ، فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأَبْتَاعَ مِنْهُ بَعْضَ التِّجَارَةِ، وَكَانَ امْرَأً تَاجِرًا، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ بِمِنًى، إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِبَاءٍ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ فَلَمَّا رَآهَا مَالَتْ - يَعْنِي قَامَ يُصَلِّي - قَالَ: ثُمَّ خَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَامَتْ خَلْفَهُ تُصَلِّي، ثُمَّ خَرَجَ غُلامٌ حِينَ رَاهَقَ الْحُلُمَ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ، فَقَامَ مَعَهُ يُصَلِّي. قَالَ: فَقُلْتُ لِلعَبَّاسِ: مَنْ هَذَا يَا عَبَّاسُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدٍ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا الْفَتَى؟ قَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ؟ قَالَ: ((يُصَلِّي، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ))، وَلَمْ يَتْبَعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلا امْرَأَتُهُ، وَابْنُ عَمِّهِ هَذَا الْفَتَى، وَهُوَ يَزْعُمُ ((أَنَّهُ سَيُفْتَحُ عَلَيْهِ كُنُوزُ كِسْرَى، وَقَيْصَرَ)) قَالَ: فَكَانَ عَفِيفٌ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ يَقُولُ: وَأَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحَسُنَ إِسْلامُهُ لَوْ كَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي الْإِسْلامَ يَوْمَئِذٍ، فَأَكُونُ ثَالِثًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [2].

وتواسيهم. (تحمل الكل) تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة. (تكسب المعدوم) تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. (تقري الضيف) تهيىء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب. (نوائب الحق) النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل. (تنصر) ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية. (الناموس) هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي. (فيها) في حين ظهور نبوتك. (جذع) شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان. (يومك) يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك. (مؤزرا) قويا من الأزر وهو القوة. (ينشب) يلبث. (فتر الوحي) تأخر عن النزول مدة من الزمن]

[1] عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي (١/ ٤٠٩).

[2] أخرجه أحمد (١٧٨٧) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أنها كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: " وَمِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ سَبْقُهَا نِسَاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الْإِيمَانِ فَسَنَّتْ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ آمَنَتْ بَعْدَهَا فَيَكُونُ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِنَّ لِمَا ثَبَتَ أَنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً وَقَدْ شَارَكَهَا فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ مَا لِكُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الثَّوَابِ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ."[1]

٢ـ هي خير نساء عالمها

عن علي رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ)) قَالَ: أَبُو كُرَيْبٍ، وَأَشَارَ وَكِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ [2].

قال النووي رحمه الله: أَرَادَ وَكِيعٌ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ تَفْسِيرَ الضَّمِيرِ فِي نِسَائِهَا وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جَمِيعُ نِسَاءِ الْأَرْضِ أَيْ كُلُّ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا خَيْرُ نِسَاءِ الْأَرْضِ فِي عَصْرِهَا وَأَمَّا التَّفْضِيلُ بَيْنَهُمَا فَمَسْكُوتٌ عَنْهُ [3].

وقال الحافظ ابن حجر: وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ قَوْلَهُ خَيْرُ نِسَائِهَا خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَالضَّمِيرُ لِمَرْيَمَ فَكَأَنَّهُ قَالَ مَرْيَمُ خَيْرُ نِسَائِهَا أَيْ نِسَاءُ زَمَانِهَا وَكَذَا فِي خَدِيجَةَ وَقَدْ جَزَمَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّرَّاحِ أَنَّ الْمُرَادَ نِسَاءُ زَمَانِهَا لِمَا تَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَذِكْرِ آسِيَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَفَعَهُ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ وَآسِيَةُ فَقَدْ أَثْبَتَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْكَمَالَ لِآسِيَةَ كَمَا أَثْبَتَهُ لِمَرْيَمَ فَامْتَنَعَ حَمْلُ الْخَيْرِيَّةِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَجَاءَ مَا يُفَسِّرُ الْمُرَادَ صَرِيحًا فَرَوَى الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَفَعَهُ لَقَدْ فُضِّلَتْ خَدِيجَةُ عَلَى نِسَاءِ

وأخرجه البخاري في الكبير (٧/ ٧٤ - ٧٥) والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٥٢ - ٤٥٣ رقم١١٠٣).
وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٢) وعزاه لأحمد وأبي يعلى والطبراني وقال: "ورجال أحمد ثقات". وأخرجه الحاكم (٣/ ١٨٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[1] فتح الباري ١٣٧/٧.

[2] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦) ٦٩ - (٢٤٣٠)

[3] شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٩٨).

أُمَّتِي كَمَا فُضِّلَتْ مَرْيَمُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَهُوَ من حَدِيثٌ حَسَنُ الْإِسْنَادِ. . وَقَدْ اخْرُج النَّسَائِيّ بِإِسْنَاد صَحِيح وَأخرجه الْحَاكِم من حَدِيث بن عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَمَرْيَمُ وآسية وَهَذَا نَص صَرِيح لا يحتمل التَّأْوِيلَ [1].

٣ـ هي ممن كمل من النساء:

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))[2] ورواه الطبري لفظه: ولم يكمل من النساء إلا مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد[3].

قال ابن كثير: وَرَوَى شُعْبَةَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قُرَّةَ بْنِ إِيَاسٍ رضي الله عنه.

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلاَثٌ، مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " رَوَاهُ ابْنُ مردويه في تَفْسِيرِهِ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى شُعْبَةَ وَبَعْدَهُ.

قالوا والقدر المشترك بين الثَّلاَثِ نِسْوَةٍ، آسِيَةَ وَمَرْيَمَ وَخَدِيجَةَ أَنَّ كُلاً مِنْهُنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلاً وَأَحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فِي كَفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَى وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ، وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كَفَالَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ.

وَخَدِيجَةُ رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ الله عزوجل. [4]

فهذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لخديجة رضي الله عنها حيث إن "لفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى"[5].

---

[1] فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٥).

[2] البخاري ح (٣٤١١)، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٨٦) (٢٤٣١)

[3] جامع البيان ت شاكر (٦/ ٣٩٨).

[4] البداية والنهاية ط إحياء التراث (٣/ ١٥٩).

[5] شرح النووي ١٩٨/١٥.

٤ـ سلام من الله وبشارة ببيت في الجنة

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، **فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ** " قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَمْ يَقُلْ: سَمِعْتُ وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَدِيثِ: وَمِنِّي [١]

وعن عبدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، أَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ((**بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ، فِيهِ وَلَا نَصَبَ**))[٢]

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ))[٣]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ خَدِيجَةُ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ يُقْرِئُ خَدِيجَةَ السَّلَامَ)) فَقَالَتْ: ((**إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**))[٤]

وهذا فيه منقبتين عظيمتين لأم المؤمنين رضي الله عنها

الأولى: إرسال الرب.جل وعلا.سلامه عليها مع جبريل "وهذه الخاصة لا تعرف لامرأة سواها"

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: زَادَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الرِّوَايَةِ الْمَذْكُورَةِ فَقَالَتْ هُوَ السَّلَامُ وَمِنْهُ وَالسَّلَامُ وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ اللَّهَ يقرىء خَدِيجَةَ السَّلَامَ يَعْنِي فَأَخْبِرْهَا فَقَالَتْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلَامُ وَعَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ زَادَ ابن السُّنِّيِّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَعَلَى مَنْ سَمِعَ السَّلَامُ إِلَّا الشَّيْطَانَ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى وُفُورِ فِقْهِهَا لِأَنَّهَا لَمْ تَقُلْ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا وَقَعَ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ حَيْثُ كَانُوا يَقُولُونَ فِي التَّشَهُّدِ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ هُو السَّلَامُ فَقُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ فَعَرَفَتْ خَدِيجَةُ لِصِحَّةِ فَهْمِهَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَدُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يُرَدُّ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ لِأَنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَهُوَ أَيْضا دُعَاء بالسلامة وكلاها لَا يَصْلُحُ أَنْ يُرَدَّ بِهِ عَلَى اللَّهِ فَكَأَنَّهَا

---

[١] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٧) (٢٤٣٢)

[٢] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٧) (٢٤٣٣)

[٣] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٨) (٢٤٣٤)

[٤] السنن الكبرى للنسائي (٧/ ٣٩٠) (٨٣٠١).

قَالَتْ كَيْفَ أَقُولُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَالسَّلاَمُ اسْمُهُ وَمِنْهُ يُطْلَبُ وَمِنْهُ يَحْصُلُ فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ إِلَّا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ فَجَعَلَتْ مَكَانَ رَدِّ السَّلاَمِ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ ثُمَّ غَايَرَتْ بَيْنَ مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ وَمَا يَلِيقُ بِغَيْرِهِ فَقَالَتْ وَعَلَى جِبْرِيلَ السَّلاَمُ ثُمَّ قَالَتْ وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ رَدُّ السَّلاَمِ عَلَى مَنْ أَرْسَلَ السَّلاَمَ وَعَلَى مَنْ بَلَّغَهُ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ حَاضِرًا عِنْدَ جَوَابِهَا فَرَدَّتْ عَلَيْهِ وَعَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً بِالتَّخْصِيصِ وَمَرَّةً بِالتَّعْمِيمِ ثُمَّ أَخْرَجَتِ الشَّيْطَانَ مِمَّنْ سَمِعَ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الدُّعَاءَ بِذَلِكَ قِيلَ إِنَّمَا بَلَّغَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا بِوَاسِطَةِ النَّبِيِّ ﷺ احْتِرَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ. (١)

الثانية: قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: "وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب" وهذا بشارة عظيمة؛

قال السهيلي: لِذِكْرِ الْبَيْتِ هَاهُنَا بِهَذَا اللَّفْظِ وَلِقَوْلِهِ بِبَيْتٍ وَلَمْ يَقُلْ بِقِصَرٍ مَعْنًى لَائِقٍ بِصُورَةِ الْحَالِ وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ رَبَّةَ بَيْتِ إِسْلاَمٍ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَرْضِ بَيْتُ إِسْلاَمٍ إِلَّا بَيْتَهَا حِينَ آمَنَتْ وَأَيْضًا فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتًا فِي الْإِسْلاَمِ بِتَزْوِيجِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَغْبَتِهَا فِيهِ وَجَزَاءُ الْفِعْلِ يُذْكَرُ بِلَفْظِ الْفِعْلِ وَإِنْ كَانَ أَشْرَفَ مِنْهُ لِمَا جَاءَ "مَنْ كَسَا مُسْلِمًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَإٍ سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ" وَمِنْ هَذَا الْبَابُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ "مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ" لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا، وَلَا فِي صِفَتِهِ وَلَكِنْ قَابِلٌ الْبُنْيَانِ بِالْبُنْيَانِ أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ كَمَا قَابِلُ الْكِسْوَةِ بِالْكِسْوَةِ وَالسَّقْيَا بِالسَّقْيَا، فَهَاهُنَا وَقَعَتْ الْمُمَاثَلَةُ لَا فِي ذَاتِ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوِّ وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَمِنْ هَاهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْهُ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَأَمَّا قَوْلُهُ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ فَإِنَّهُ أَيْضًا مِنْ بَابِ مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ لِأَنَّهُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – دَعَاهَا إِلَى الْإِيمَانِ فَأَجَابَتْهُ عَفْوًا، لَمْ تُحْوِجْهُ إِلَى أَنْ يَصْخَبَ كَمَا يَصْخَبُ الْبَعْلُ إِذَا تَعَصَّتْ عَلَيْهِ حَلِيلَتُهُ وَلَا

(١) فتح الباري ١٣٩/٧، وانظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبد الله محمد الغنيمان ٣٦٩/٢-٣٧٠ وعقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي (١/ ٤١٦)

أَنْ يَنْصِبَ بَلْ أَزَالَتْ عَنْهُ كُلّ نَصَبٍ وَآنَسَتْهُ مِنْ كُلّ وَحْشَةٍ وَهَوّنَتْ عَلَيْهِ كُلّ مَكْرُوهٍ وَأَرَاحَتْهُ بِمَا لَهَا مِنْ كُلّ كَدّ وَنَصَبٍ فَوَصَفَ مَنْزِلَهَا الّذِي بُشّرَتْ بِهِ بِالصّفّةِ الْمُقَابِلَةِ لِفَعَالِهَا وَصُورَتِهِ. (١)

وقال ابن حجر: وَفِي ذِكْرِ الْبَيْتِ مَعْنًى آخَرُ لِأَنَّ مَرْجِعَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهَا لِمَا ثَبَتَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى {**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**} قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَمَّا نَزَلَتْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَمَرْجِعُ أَهْلِ الْبَيْتِ هَؤُلَاءِ إِلَى خَدِيجَةَ لِأَنَّ الْحَسَنَيْنِ مِنْ فَاطِمَةَ وَفَاطِمَةُ بِنْتُهَا وَعَلِيٌّ نَشَأَ فِي بَيْتِ خَدِيجَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ ثُمَّ تَزَوَّجَ بِنْتَهَا بَعْدَهَا فَظَهَرَ رُجُوعُ أَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ إِلَى خَدِيجَةَ دُونَ غَيْرِهَا. (٢)

قال ابن حجر: قَوْلُهُ مِنْ قَصَبٍ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا مُوَحدَة قَالَ ابن التِّينِ الْمُرَادُ بِهِ لُؤْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ وَاسِعَةٌ كَالْقَصْرِ الْمَنِيفِ قُلْتُ عِنْدَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ بن أَبِي أَوْفَى يَعْنِي قَصَبَ اللُّؤْلُؤِ وَعِنْدَهُ فِي الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بَيْتٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ وَعِنْدَهُ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أُمِّي خَدِيجَةُ قَالَ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ قُلْتُ أَمِنْ هَذَا الْقَصَبِ قَالَ لَا مِنَ الْقَصَبِ الْمَنْظُومِ بِالدُّرِّ وَاللُّؤْلُؤِ والياقوت قَالَ السُّهيْلِي النُّكْتَة قي قَوْلِهِ مِنْ قَصَبٍ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ لُؤْلُؤٍ أَنَّ فِي لَفْظِ الْقَصَبِ مُنَاسَبَةً لِكَوْنِهَا أَحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبْقِ بِمُبَادَرَتِهَا إِلَى الْإِيمَانِ دُونَ غَيْرِهَا وَلِذَا وَقعت هَذِه الْمُنَاسبَة فِي جَمِيع أَلْفَاظ هَذَا الْحَدِيثِ انْتَهَى وَفِي الْقَصَبِ مُنَاسَبَةٌ أُخْرَى مِنْ جِهَةِ اسْتِوَاءِ أَكْثَرِ أَنَابِيبِهِ وَكَذَا كَانَ لِخَدِيجَةَ مِنَ الِاسْتِوَاءِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهَا إِذْ كَانَتْ حَرِيصَةً عَلَى رِضَاهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَلَمْ يَصْدُرْ مِنْهَا مَا يُغْضِبُهُ قَطُّ كَمَا وَقَعَ لِغَيْرِهَا(٣).

وقال النووي: وَقَوْلُهُ أَوَّلًا قَدْ أَتَتْكَ مَعْنَاهُ تَوَجَّهَتْ إِلَيْكَ وَقَوْلُهُ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ أَيْ وَصَلَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ أَيْ سَلِّمْ عَلَيْهَا وَهَذِهِ فَضَائِلُ ظَاهِرَةٌ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَوْلُهُ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ الْمُرَادُ بِهِ قَصَبُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ كَالْقَصْرِ الْمَنِيفِ وَقِيلَ قَصَبٌ مِنْ ذَهَبٍ مَنْظُومٍ

(١) الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٢٧٦).

(٢) فتح الباري ١٣٨/٧.

(٣) فتح الباري (١٣٨/٧).

بِالْجَوْهَرِ قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْقَصَبُ مِنَ الْجَوْهَرِ مَا اسْتَطَالَ مِنْهُ فِي تَجْوِيفٍ قَالُوا وَيُقَالُ لِكُلِّ مُجَوَّفٍ قَصَبٌ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مُفَسَّرًا بِبَيْتٍ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَيَّاةٍ وَفَسَّرُوهُ بِمُجَوَّفَةٍ قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ هُنَا الْقَصْرُ وَأَمَّا الصَّخَبُ فَبِفَتْحِ الصَّادِ وَالْخَاءِ وَهُوَ الصَّوْتُ الْمُخْتَلِطُ الْمُرْتَفِعُ وَالنَّصَبُ الْمَشَقَّةُ وَالتَّعَبُ [1]

٥ـ حب النبي ﷺ لها وكثرة ذكر النبي ﷺ لها

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((**مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ، ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا**))، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((**مَا غِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ لِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ**))[2]

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ ((**إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**)) [3]

قال ابن حجر: قَوْلُهُ مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ ثُبُوتُ الْغَيْرَةِ وَأَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ وُقُوعُهَا مِنْ فَاضِلَاتِ النِّسَاءِ فَضْلاً عَمَّنْ دُونَهُنَّ وَأَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَغَارُ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَكِنْ كَانَتْ تَغَارُ مِنْ خَدِيجَةَ أَكْثَرَ وَقَدْ بَيَّنَتْ سَبَبَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهَا وَأَصْلُ غَيْرَةِ الْمَرْأَةِ مِنْ تُخَيَّلِ مَحَبَّةِ غَيْرِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا وَكَثْرَةُ الذِّكْرِ تَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الْمَحَبَّةِ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ مُرَادُهَا بِالذِّكْرِ لَهَا مَدْحُهَا وَالثَّنَاءُ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا؛ مِنْ جُمْلَةِ أَسْبَابِ الْغَيْرَةِ لِأَنَّ اخْتِصَاصَ خَدِيجَةَ بِهَذِهِ الْبُشْرَى مُشْعِرٌ بِمَزِيدِ مَحَبَّةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا [4].

٦- حب النبي ﷺ لها هبة من الله تعالى

---

[1] شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٠٠).

[2] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٩) (٢٤٣٥)

[3] صحيح البخاري (٥/ ٣٨) ح (٣٨١٨).

[4] فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣٦). .

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: ((**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**)) قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ ((**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**))[1]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "قوله ﷺ: "رزقت حبها" فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهَا فَضِيلَةٌ حَصَلَتْ "[2] قَالَ الْقُرْطُبِيُّ كَانَ حُبُّهُ ﷺ لَهَا لِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ كُلٌّ مِنْهَا كَانَ سَبَبًا فِي إِيجَادِ الْمَحَبَّةِ "[3]

وهذا يدل على أن حب النبي ﷺ لخديجة رزق من الله تعالى وعلى أن حب الزوج لزوجته رزق من الله تعالى وعلى أن محبة المؤمنين للعبد من القبول الذي يوضع له في الأرض بسبب محبة الله تعالى له كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ** "[4]

٧ـ لم يتزوج النبي ﷺ عليها حتى ماتت

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((**لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ**))[5]

قال الحافظ: " وَهَذَا مِمَّا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ وَعَلَى مَزِيدِ فَضْلِهَا لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرِهَا وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ غَيْرُهَا مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ ﷺ عَاشَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ عَامًا انْفَرَدَتْ خَدِيجَةُ مِنْهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْوَ الثُّلُثَيْنِ مِنَ الْمَجْمُوعِ وَمَعَ طُولِ الْمُدَّةِ فَصَانَ قَلْبَهَا فِيهَا مِنَ الْغَيْرَةِ وَمِنْ نَكَدِ الضَّرَائِرِ الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَمْ يُشَارِكْهَا فِيهَا غَيْرُهَا ". [6]

---

[1] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٨) (٢٤٣٥).

[2] شرح النووي (١٥/ ٢٠١).

[3] فتح الباري (١٧/ ١٣٧).

[4] صحيح البخاري (٩/ ١٤٢) ح (٧٤٨٥).

[5] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٩) (٢٤٣٦).

[6] فتح الباري ٧/ ١٣٧.

٨ ـ ارتياح النبي ﷺ للصوت الذي يذكره بخديجة رضي الله عنها لأنه يشبه صوتها وذلك لما وضع الله لها في قلبه من المحبة رضي الله عنها وأرضاها.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: ((**اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)) فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا [١]

قال النووي: وَفِي هَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ لِحُسْنِ الْعَهْدِ وَحِفْظِ الْوُدِّ وَرِعَايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ وَالْعَشِيرِ فِي حَيَاتِهِ وَوَفَاتِهِ وَإِكْرَامِ أَهْلِ ذَلِكَ الصَّاحِبِ قَوْلُهَا (عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ) مَعْنَاهُ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى قَدْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهَا مِنَ الْكِبَرِ وَلَمْ يبق لشدقها بياض شئ مِنَ الْأَسْنَانِ إِنَّمَا بَقِيَ فِيهِ حُمْرَةُ لَثَاتِهَا قَالَ الْقَاضِي قَالَ الْمِصْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الغيرة مُسَامَحٌ لِلنِّسَاءِ فِيهَا لَا عُقُوبَةَ عَلَيْهِنَّ فِيهَا لِمَا جُبِلْنَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَلِهَذَا لَمْ تُزْجَرْ عَائِشَةُ عَنْهَا [٢].

٩ـ حسبك من نساء العالمين خديجة رضي الله عنها

عن أنس أن النبي ﷺ قال: "حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون" [٣].

قَوْلُهُ (حَسْبُكَ) أَيْ يَكْفِيكَ (مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) أَيِ الْوَاصِلَةِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَامِلِينَ فِي الِاقْتِدَاءِ بِهِنَّ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِنَّ وَمَنَاقِبِهِنَّ وَزُهْدِهِنَّ فِي الدُّنْيَا وَإِقْبَالِهِنَّ عَلَى الْعُقْبَى [٤]

وقال الملا علي القاري: قَالَ الطِّيبِيُّ: حَسْبُكَ: مُبْتَدَأٌ. وَمِنْ نِسَاءِ مُتَعَلِّقٍ بِهِ، وَمَرْيَمُ خَبَرُهُ. وَالْخِطَابُ إِمَّا عَامٌّ أَوْ لِأَنَسٍ أَيْ: كَافِيكَ مَعْرِفَتُكَ فَضْلِهِنَّ عَنْ مَعْرِفَةِ سَائِرِ النِّسَاءِ. اهـ.

قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي النِّقَايَةِ: نَعْتَقِدُ أَنَّ أَفْضَلَ النِّسَاءِ مَرْيَمُ وَفَاطِمَةُ، وَأَفْضَلَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ، وَفِي التَّفْضِيلِ بَيْنَهُمَا أَقْوَالٌ. ثَالِثُهَا: التَّوَقُّفُ. أَقُولُ: التَّوَقُّفُ فِي حَقِّ الْكُلِّ أَوْلَى، إِذْ لَيْسَ فِي الْمَسْأَلَةِ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ وَالظَّنِّيَّاتُ مُتَعَارِضَةٌ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لِلْعَقَائِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْيَقِينِيَّاتِ [١].

---

[١] صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٩) ٧٨ - (٢٤٣٧).

[٢] شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٠٢).

[٣] أخرجه عبد الرزاق في تفسيره(٤٠٣)، ومن طريقه الترمذي (٣٨٧٨) وقال: حديث صحيح.

[٤] تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٦٥).

قال ابن حجر: قَالَ ابن تَيْمِيَّةَ: جِهَاتُ الْفَضْلِ بَيْنَ خَدِيجَةَ وَعَائِشَةَ مُتَقَارِبَةٌ وَكَأَنَّهُ رأى التَّوَقُّف وَقَالَ ابن الْقَيِّم إِنْ أُرِيدَ بِالتَّفْضِيلِ كَثْرَةُ الثَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ فَذَاكَ أَمْرٌ لَا يُطَّلَعُ عَلَيْهِ فَإِنَّ عَمَلَ الْقُلُوبِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ وَإِنْ أُرِيدَ كَثْرَةُ الْعِلْمِ فَعَائِشَةُ لَا مَحَالَةَ وَإِنْ أُرِيدَ شَرَفُ الْأَصْلِ فَفَاطِمَةُ لَا مَحَالَةَ وَهِيَ فَضِيلَةٌ لَا يُشَارِكُهَا فِيهَا غَيْرُ أَخَوَاتِهَا وَإِنْ أُرِيدَ شَرَفُ السِّيَادَةِ فَقَدْ ثَبَتَ النَّصُّ لِفَاطِمَةَ وَحْدَهَا قُلْتُ امْتَازَتْ فَاطِمَةُ عَنْ أَخَوَاتِهَا بِأَنَّهُنَّ مُتْنَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ وَأَمَّا مَا امْتَازَتْ بِهِ عَائِشَةُ مِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّ لِخَدِيجَةَ مَا يُقَابِلُهُ وَهِيَ أَنَّهَا أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَعَانَ عَلَى ثُبُوتِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالتَّوَجُّهِ التَّامِّ فَلَهَا مِثْلُ أَجْرِ مَنْ جَاءَ بَعْدَهَا وَلَا يُقَدِّرُ قَدْرَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ. (٢)

قال ابن القيم رحمه الله: وَاخْتلف فِي تفضيلها على عَائِشَةرضي الله عنها على ثَلَاثَة أَقْوَال ثَالِثهَا الْوَقْف وَسَأَلت شَيخنَا ابْن تَيْمِية رَحمَه الله فَقَالَ اخْتصَّ كل وَاحِدَة مِنْهَا بِخَاصَّة فخديجة كَانَ تأثيرها فِي أول الْإِسْلَام وَكَانَت تسلي رَسُول الله ﷺ وتثبته وتسكنه وتبذل دونه مَالهَا فأدركت عزة الْإِسْلَام واحتملت الْأَذَى فِي الله وَفِي رَسُوله وَكَانَت نصرتها للرسول ﷺ فِي أعظم أَوْقَات الْحَاجة فلهَا من النُّصْرَة والبذل مَا لَيْسَ لغَيْرهَا وَعَائِشَة رضي الله عنها تأثيرها فِي آخر الْإِسْلَام فلهَا من التفقه فِي الدّين وتبليغه إِلَى الْأمة وانتفاع نبيها بِمَا أدَّت إِلَيْهِم من الْعلم مَا لَيْسَ لغَيْرهَا هَذَا معنى كَلَامه(٣).

وقال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر: الْحق أَنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا لَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَوْ نَظَرَ النَّاظِرُ فِيهِ لَبَهَرَهُ وَحَيَّرَهُ.

وَالْأَحْسَنُ التَّوَقُّف فِي ذَلِك إِلَى الله عز وجل، وَمَنْ ظَهَرَ لَهُ دَلِيلٌ يَقْطَعُ بِهِ، أَوْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ فِي هَذَا الْبَابِ، فَذَاكَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ تَوَقُّفٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا، فَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ وَالْمَسْلَكُ الْأَسْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ.. (٤)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٩٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٠٩)، وبدائع الفوائد (٣/ ١٦١).

(٣) جلاء الأفهام (ص: ٢٣٥).

(٤) بدائع الفوائد ٣/ ١٦١-١٦٢، وانظر: فتح الباري ٧/ ١٠٩، وجلاء الأفهام ص/ ١٢٤.

لوعة الفراق

أصعب وأشق شيء على النفس هو فراق الأحبة ومزايلة الحلائل، بعد العشرة الطيبة، والمخالطة والمودة والحب المحصن الصريح الخالص.

إن الروحين عندما ينزلان في جسد واحد، أو عندما ينقسم الروح بين جسدين يكون ذلك دليلا على أن أحدهما متمم للآخر مكمل له، فلا سعادة تامة ولا هناء في غياب أحدهما عن شريكه.

من ثم كان الموت مصيبة لا تعدلها مصيبة، لأنه يصرم المودة، ويباعد تماما المحبين في الدنيا، ويكون نزوله صعبا وأليما عندما يأتي على أحد الزوجين المتوافقين اللذين يعيشان في رغد وهناء وليان من العيش. . . حتى إن الحيّ منهما يكون كأنه هو الميت لشعوره بالانهيار، وكأنه يعيش في غير الزمان والمكان أو أنه لا يعيش في الزمان والمكان، وكأنه جسد بلا روح أو بدن بلا قلب.

بينا كانت المواجهة على أشدها بين الحق الواضح الأبلج وبين الباطل اللجوج، وبينا استعرت حدة المدافعة وحمي الوطيس، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يستأصل شأفة الضلال والريب، ويظهر رسوله وصحبه، إذا بالسيدة الشريفة الفاضلة العجوز التي بلغت خمسا وستين سنة قد صارت خائرة القوى، واهية الجسم، متهالكة الأعضاء، وقد أخذ منها الجهد كل مأخذ، وفعل الزمن بها الأفاعيل، فلم يستطع جسمها المكدود مقاومة ولا دفعا لما لا يطاق، ولما لا يستطاع من الهموم والنوازل.

لم يمر على كسر حلقة الحصار وانهياره غير ستة أشهر حتى مات أبو طالب عم النبي ﷺ، وكافله بعد جده عبد المطلب،. . .

وإبان رحيل عمّه إلى عالم الآخرة كانت الشريفة العفيفة المصون، زكية الذيل، طاهرة الأردان تعالج آلاما مبرحة غير مقدور عليها، وقد لاذت بالفراش تودع الحياة والأحياء، وتتأهب لساعة الرحيل، ومفارقة الحبيب الحليل الصابر المجاهد المحتسب المبعوث رحمة للعالمين، وهي مثقلة بالهموم إذ ترحل عنه وتترك له بناتها الأربع في تلك الظروف الحرجة، والتي كان محتاجا إليها فيها أشد الاحتياج، لكن الله سبحانه وتعالى أرفق وأرحم به.

لم يطل رقاد خديجة في فراشها طويلا إذ سرعان ما غشيتها المنية، وحلت بساحتها، وزارها الحتم المجاب بعد ثلاثة أيام فقط، وكانت وفاتها بين يدي الزوج الحبيب الذي لم يكن رجلا

كالرجال، ولا زوجا كالأزواج ولكنه كان رسول الله ﷺ، وقد كانت له الرفيق الشفيق، والأنيس والملاذ.

وفاضت الروح إلى بارئها لهذه النفس المطمئنة راضية مرضية إلى رحاب الله ورضوانه.

وقد انتقلت إلى رحاب بارئها مرضيا عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولقد خلت الدار بعدها من الأنيس، وأمحلت من الحبيب، فأصبحت عطلا وخلاء موحشة تنبو بالزوج المحب عن آفاق المكان ومحدود الزمان، وقد دفنها ﷺ بالحجون.

ولئن كانت صفحة خديجة قد انطوت إلا أن عبقها وذكرها وذكراها لا تزال باقية حية في روح النبي ﷺ وفي وجدانه، فلم تبرح مخيلته ولم تفارق خياله، ولم تزايل وجدانه طرفة عين أو برهة من زمان لقد كانت روحها معه تشاركه همومه، وتقاسمه أتراحه وأفراحه، وتشاطره أحزانه ومواجيده، وكأنها لم تبرح الدنيا للعالم الآخر، وكأنها لم يكن في الدنيا امرأة سواها رضي الله عنها وأرضاها. [1]

والحمد لله رب العالمين

[1] نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ص: ٣١).

openkandil.com

الفهرس

الفكر المتطرف ٢

١ـ دروس وعبر من حديث الرجل الذي قتل مائة نفر..... ٩

٢ـفضائل صلاة الفجر ٢١

٣ـالخشوع في الصلاة..... ٣٠

٤ـ فضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها..... ٤٥

obeikandl.com

للمشاركة أو الاستفسار

اتصل على ت مجمع التوحيد ببلبيس / 055-2847990

ولمتابعة الخطب ومحاضرات معهد إعداد الدعاة من خلال
موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhed.net

ويمكن التواصل من خلال موقع التواصل الاجتماعي -فيس بوك-

مسجد التوحيد - بلبيس
www.facebook.com/MasjedAltawhed

أو

معهد إعداد الدعاة - بلبيس
www.facebook.com/Alm3had

واللجنة تقبل مشاركتكم من خلال خطب مكتوبة مشروطة أن تتسم بالموضوعية والمنهجية مدعمة بالأدلة النقلية من القرآن والسنة الصحيحة على أن يتم مراجعتها من قبل اللجنة وتعديلها على حسب المنهج المرسوم، والحق الأدبي – بذكر اسم صاحب الكتابة- مكفول لصاحب الخطبة

obeikandl.com